



نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى

آفاق الحوار الإسلامي المسيحي

تأليف

زيدان عبد الفتاح قعدان



دار البشير

ترجمة المؤلف

بعد أن أنهى المؤلف الدراسات المنهجية ، عكف على حفظ القرآن الكريم ومن ثم التأمل والبحث في آياته ، بقي كذلك عدة سنوات .

في رحلته تلك اكتشف عظمة الكتاب ، وما تنطوي عليه آياته في كل مناحي الحياة ، فنذر نفسه على خدمته ما دام فيه عرق ينبض ، فوضع في مجاله

مختلف الدراسات طبع منها :

١- منهج القرآن في الإقتصاد .

٢- المرأة في ظل شريعة القرآن .

٣- مدينة الله في الأرض - قراءه معاصرة

أما غير المطبوع منها :

١- الله يتجلى في عصر الطاقة .

٢- العقل محاوله لفهم عصري .

والآن جاء دور هذا الكتاب (آفاق الحوار الإسلامي المسيحي) لعل وعسى أن يكون فيه النفع والخير الكثير .

أفاق الحوار
الإسلامي المسيحي

محفوظات جميع الحقوق

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإبداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٥/١/١٠٩)

٢١٧،٨

قعدان ، زيدان عبد الفتاح
آفاق الحوار الإسلامي المسيحي / عبد الفتاح
قعدان . _ عمان : دار البشير ، ٢٠٠٥ .
(١٨٤) ص .
ر : (٢٠٠٥/١/١٠٩) .
الواصفات : / الإسلام // المسيحية // الديانات /

تم إعداد بياضات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



دار البشير

آفاق الحوار الإسلامي المسيحي

تأليف

زيدان عبد الفتاح قعدان



نشر بدعم من أمانة عمان الكبرى

دار البشير

إهداء

إلى الإنسان خليفة الله في الأرض .. إلى المسلمين .. إلى المسيحيين نقول أن:
الله الذي بدأ خلق الإنسان من طين وهو الله الذي بدأ خلق آدم من تراب وهو
الذي قال: ﴿إِنَّمَا مِثْلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ونقول أيضاً أن الله واحد لا شريك له: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وكلمة (لا إله إلا الله) هي الكلمة المشتركة بين الأديان: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾
[آل عمران: ٦٤].

وهو الذي دلنا على طريق الحوار وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وكل المؤمنين لا يفرقون بين رسل الله: ﴿وَأَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ
رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا وعلى رسل الله أجمعين الذين أقاموا دين الله في الأرض على العدل والقسطاس المستقيم وبعد:

هذا الكتاب هو محاولة جادة على صعيد الفكر الإنساني - الديني، وهي دراسة علمية تبحث عن الحقيقة الكبرى في الإسلام والمسيحية وبراءة المسيح من خلالهما، والدراسة تبحث عن الحقيقة التي تصلح أساساً للحوار الإسلامي المسيحي ..

وازاء ذلك تناولت الحقيقة المسيحية وحقيقة المسيح بالذات من المصادر المعنية بهذا الأمر والتي لم تخرج عن الدراسة الموضوعية لابل أكثر ما اعتمدت في الجانب المسيحي أو الحقيقة المسيحية على المصادر التاريخية الأصيله ومن أفواه أصحابها لابل ومن كتبهم، وفي الجانب الإسلامي لم أرَ حقيقة ناصعة حول الموضوع أحسن مما هو في القرآن الكريم فهو يرسم الصورة والحقيقة المسيحية بدقة متناهية وللحق لم أرَ براءة المسيح من كل التهم الموجه اليه سواء من الأعداء أو من الأصدقاء ناصعة بيضاء أكثر مما ذكرت في القرآن الكريم وحتى أصل الى الحقائق المرجوه تناولت أولاً في مقدمة الكتاب الحقيقة الواحدة في الإسلام والمسيحية ثم قدمت في الفصل الأول حقيقة المسيح في القرآن الكريم فكانت ناصعة البياض بريئه من كل مايعتور حقيقته من الشوائب لأن الحقيقة القرآنية بخصوص الرسل والأنبياء محفوظة من الخطأ أو التحريف بأمر من الله قاله في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وفي الفصل الثاني تعرضت لحقيقة المسيح في الأنجيل ولأخفي أنني رأيت أو لمست الحقيقة المسيحية تتعرض لبعض التصرفات الإنسانية سواء حول حقيقة المسيح أو رسالته مما جعلني أتعرض لبعض الإنحرافات الدينية في الفصل الثالث وأثر هذه الإنحرافات في إذكاء الصراع الديني الأمر الذي جعلني أتعرض لهذا الموضوع .. بعنوان الصراعات الدينية وأسبابها وقمة ذلك، جاء في الفصل الرابع بعنوان الحروب الصليبية وأسبابها ووسائلها وآثارها في المسيرة البشرية.. الأمر الذي جعلني أضع تصوراً أو آفاقاً لحوارات دينية في الفصل الخامس فوضعت أساساً لهذه الحوارات الدينية قائمه طبعاً على أساس الكلمة المشتركة أو الحقيقة الواحدة وهي التوحيد الإلهي وخصه الحوار الإسلامي المسيحي وإمكانية الوصول إلى الحقيقة الكبرى وهي أن الله واحد لا شريك له وهو الغاية المثلى لرسالات الأنبياء كل الأنبياء.. مما دفعني إلى طرح تجربته الإسلامية وبينت دين الله المقبول في السماء والأرض والذي هو خاتمة الرسالات السماوية الشاملة أو خاتمة البيان السماوي وهو دين الله (الإسلام) الذي بشر به كل الأنبياء وكان ذلك في الفصل السادس وحتىؤكد على براءة ونزاهة هذه الصيغة نتبعت تجربته الإسلامية في أوروبا ومظاهر النجاحات في هذا السبيل والتوفيق بين أصحاب الرسالات.. وفي الختام طرحت نماذج من الحوارات الدينية خاصة الحوار الإسلامي المسيحي ومظاهر التواصل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين وكان ذلك من خلال إبراز شواهد واعترافات على أهميه هذا التواصل لجسر الهوة المصطنعة بين الطرفين.. من خلال كلمة (لا إله إلا الله) المشتركة..

مقدمه

الإسلام والمسيحية والحقيقة الواحدة

البشريه - منذ بدء الخليقه ،كان منشؤها على الأرض واحداً، وهو آدم، وكان خلقه من طين وثرية الأرض.. وكل الرسالات الآتية من السماء والتي مصدرها الخالق تشهد.. بالحقيقة الواحدة في الخلق والمنبت والخالق الواحد.

وعليه كان الناس أمة واحدة، ولكن الله بعث النبيين - مبشرين ومنذرين، بين فترة زمنية وأخرى.. ودعوة كل نبي، كانت الدعوه للتوحيد الإلهي، والإسلام لرب العالمين.. أولاً ومن ثم ترسم أطر الحق - وتدعو اليه، وأطر الباطل وتنتهي عنه لتتصر الأول وتهزم الثاني ولتبقى كلمة الله هي العليا على مر السنين وتعاقب الأجيال.

فكانت القضية الروحية لكل رسول.. الدعوه للتوحيد، وأن لا إله إلا الله لا شريك له في الملك.. لم يلد ولم يولد، فلا أبناء له ولا أحفاد، له ملك السماوات والأرض، وما من دابة في الأرض الا هو آخذ بناصيتها. وفي ذلك قمة التوحيد والخلوص..

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب، الا من بعد أن جاءتهم البينات، فاختلفوا حتى مع حقائق دينهم..

وجعلوا لهم أوثاناً" يعبدونها من دون الله - إن في دعوة المسيح بأنه ابن الله أو هو ثالث ثلاثه.. وكذا فعل الذين من قبلهم - فاخذهم الله بظلمهم وبما كانوا على الله يفترون.. فذهب قوم عاد وثمود ومنهم من أخذتهم الرجفة، ومنهم من جاءتهم ريح عاتية ومنهم من خسف الله بهم وبادرهم الأرض وبقيت الكلمة الأبدية - كلمة

الله - ناصعة منتصره في كتاب الله العظيم (القرآن)، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ولكن بقي الصراع.. أيضاً أبدأً بين الحق والباطل.. وكان عقاب الله عاجلاً
أما الآن، بعد نزول القرآن أصبح أجلاً.. إذ لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
على الأرض من دابه ومن ثم كتب الله أن يؤخر الناس إلى أجل مسمى مهما كان
الصراع مريراً وعاتياً..

وهكذا بقي الصراع بين الحق والباطل، يشتد تارة ويخبو أخرى ومثل ذلك
حدث بين أصحاب الكتب السماوية.. بين المسلمين والمسيحيين ومن ثم سمي
الصراع الإسلامي المسيحي. وهو بالحق صراع بين الحق والباطل.. يحدث مثله
في الدين الواحد فكيف لا يحدث مثله في الأديان - التي سموها على أسماء أصحابها
ولم يعرفوا أن الدين عند الله هو الإسلام.. لا غير.

وهذا ما يؤكد أن الصراع الذي يدور بين الإسلام والمسيحية لا أساس له من
الصحة.. لأن حقيقة المسيحية الأولى - التي جاء بها المسيح (عليه السلام)
لا تتصارع ولا تتناقض مع ما جاء به محمد (عليه السلام) في رسالته الماثلة ليومنا
هذا - في القرآن الكريم..

فحقائق الأديان واحده - وهي الدعوه للتوحيد الإلهي ونبذ القتل والسرقة
والزنا، ومن ثم الحكم بين الناس بالعدل.

هذا هو جوهر الأديان كلها وما جاء في الإسلام هو إتمام المسيره الدينيه التي
بشر بها الأنبياء أو هو الدين الذي جمع فأوعى وجاء ذلك في أعظم كتاب وهو
القرآن.. فيه خبر الاولين وفيه خبر الأنبياء والمرسلين وفيه التشريع الشامل،
والعقيدة الثابته ..

إذ لا يأتية الباطل لامن بين يديه ولا من خلفه فصتق بالأديان ومن جاء بها..
وبين أنه ناسخ لها جملة وتفصيلاً لأنه احتواها. ومن ثم من ابتغى غير الإسلام ديناً
فلن يقبل منه..

ففي الإسلام.. جاءت الحقيقة، ناصعه لالبس فيها ولاغموض ولاتشوبها
شائبه.. كيف لا وهي آتية من السماء وتصدقها تجربته في الأرض، لابل الكون كله
فهي حقيقة الحقائق..

نعم هي الحقيقة الكبرى: وهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار
ووضوح القمر في ليلة البدر..

كل شيء ينطق بهذه الحقيقة – حقيقة الخالق الواحد الذي لا شريك له في الملك
ولافي قدره ولايساعده في تدبير الكون مدير أو مهندس أو معلم أو مزارع أو
طبيب أو فيلسوف فهم أصغر وأحق من مشاركته في ذلك..

وهو الذي خلق السماوات والأرض والشمس والقمر ولا أحد في السماء
ولافي الأرض من يدعي فعل ذلك لابل لم يُشهد أحداً من خلقه على ذلك.. وهذا
الكون المدبر بهذه الكينونه..

لاترى فيه من تفاوت ولاخلل ولا حاجة الى صيانه.. هل رأى أحد منكم مثلاً
من صعد الى القمر فوضع لبنة فيه أو وضع آلة لتصحيح مساره.. أو من وضع
فيه زيتاً أو بنزيناً لتسيير دفة الشمس، مثلاً أو القمر..
كل ذلك ينطق بالحقيقة الكبرى..

والمسيح أو غيره لن يستكف أن يكون عبداً مخلصاً في العبادة لرب العالمين
فهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، لاهو ولاغيره من البشر.. كل ذلك مكتوب في
القرآن العظيم المحفوظ برعاية الله – فهو مستند صدق يصلح للقول الفصل في

أخبار الغيب.. وأخبار الساعة والقدرة والعلم والملكوت السماوي والأرضي كيف لا وهو رسالة السماء الشاملة الى الأرض..

في هذا الكتاب -توضيح شامل للحقيقة العظيمة التي جاء بها كل الأنبياء من آدم الى نوح وإبراهيم الى موسى وعيسى كلهم يخدمون الرب ((لا اله إلا هو وحده لا شريك له))... هذه الحقيقة التي نكرسها هنا هي الحقيقة الكبرى التي جاءت واضحة في رسالة المسيح وواضحة، في رسالة محمد عليهما السلام.. وهذه الحقيقة هي الأساس أو هي العنصر الرئيس في الحوار الإسلامي - المسيحي.

الفصل الأول حقيقة المسيح في القرآن

أسرته : أولاً- من هي أسرته..

بادئ ذي بدء.. يخبرنا القرآن أن مولده كان آية من آيات الله وهذا تقدير له عتر عنه مصدر الإسلام الأول بنصوص لا تقبل التأويل.. قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ۖ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

وعليه فإن مولده كان آية من آيات الله لا بل كان نبياً في قومه يهديهم ويرشدهم سبيل الهدى - هدى الله. وفوق ذلك كان ميلاده معجزة إذ ولد من غير أب.. وهذا خارق للعاده وقبل أن نخوض في هذا لنر قصة أمه أولاً وسيرتها- وهل هي مؤهلة لهذا الحمل والعبء العظيم.. ولنرى ذلك من خلال القرآن لئلا يدخل بحثنا في هذا الامر الإجتهد والتأويل.. ففي القرآن، قول الفصل.

فبداية القصة هي على لسان امرأة عمران وهي أم مريم..

امرأة عمران

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

وهذا الطلب من امرأة عمران والمقرون بالنذر، لأنها كانت امرأة عاقراً وتقدمت بها السن ولم ترزق من قبل بولد أو بنت ..

وعليه كانت رغبته في الولد أكبر لتقي بنذرها الا أنها أنجبت بنتاً وهذا بالنص القرآني :

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ ﴾ [آل عمران: ٣٦].

هذه حقائق - يعلمها علام الغيوب- إلا أنها قيلت من قبل امرأة عمران، وربما للتدليل على أن الأمر سيكون عظيماً بشأن هذه المرأة، مريم، وكأنه يقول: إني أعلم من شأنها وشأن مستقبلها أكثر مما تعلمين ومثله قالت الملائكة بصدد آدم عليه السلام ..

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]

وكان ذلك ايداناً بشأن مكانة آدم عليه السلام، وعلمه، حيث ((وعلم آدم الأسماء كلها)) نفس الشيء حين نوه عن مكانة مريم وشأنها العظيم في المستقبل.. أما صفات المرأة المذكورة -مريم - فقد جاء ذلك بالنص القرآني الذي لاليس فيه ولاغموض قال تعالى بشأنها:

﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۖ ﴾ (٣٦)

فَنَقَّبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَّكَ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ [آل عمران: ٣٦، ٣٧].

قصة أمه مريم

وهكذا كانت أم مريم قريبه من الله وإلا لما لجأت إليه حين دعت ربها ليهب لها مولوداً ذكراً قادراً على خدمة البيت أو المعبد ذكراً عابداً لله سبحانه وتعالى، وقد وهبته من يوم حملت به لهذا الأمر وتلك المهمة وهي كانت ترى في الولد قدرة على القيام بهذه المهمة وكانت ربما تشير إلى الظروف والأعباء التي تمنع المراه من القيام بهذه المهمة، لما تعاني من أعباء الحمل والولادة والحيض.. الخ

وزيادة في الإيمان قالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

والحق، إن آل عمران هم من المقربين أو المصطفين الأخيار فيقول الله تعالى بالنص القرآني الآتي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

وهكذا، عاشت مريم، في بيت كريم يعبق بالإيمان والعبادة والخلوص لله تعالى.. ولم يكن حالها غريباً عن حال أهلها حتى الذي كفّلها وهو زكريا عليه السلام كان تقياً عابداً لله تعالى.

وفي هذا الجو المؤمن عاشت مريم حياتها الأولى وقد أورد القرآن ذلك حين قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرُمُ أَنَّ لِيَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

أي أنها منزله عن العبث والإستهتار والفساد.. هكذا هي مريم في تراث الإسلام والمسلمين ولا غرابه فالأمر منصوص عليه في القرآن الكريم.. حتى قومها اعترفوا لها بذلك وبحسن سيرتها وحسن أخلاقها..

﴿يَتَأَخَتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]

الحق ان الأمر غريب وجديد عليهم، ولكن كان عليهم أن يصدقوا الأمر حين علموا من سيرتها ما علموا.. أمها عابده وكذلك والدها وزكريا (عليه السلام) الذي كفلها ورباها.. هو كذلك، فكانت نموذجاً صالحاً في العبادة والتوحيد والإعتكاف المتواصل أي كما وعدت بذلك أمها حين نذرتها للرحمن.. ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]

فقبل أن يأتيها البشير كانت تفي بالنذر الذي قطعتة أمها على نفسها حين وجهت مريم إلى هذه المهمة وهي التقوى والعبادة وخدمة البيت.. تلك هي سيرة مريم في القرآن الكريم ولا أحد يشك في أمرها أو أمر أخبارها من المسلمين لأنها جاءت سيرتها وأخبارها في أقدس كتاب إسلامي وهي مكتوبة كما نزلت من الوحي الإلهي.. وعليه فإن الحقيقة الأولى للمسيح - ناصعة البياض في الإسلام، وهذا يمثل التربة الصالحة التي كانت تنتهي لمجيء المسيح عيسى عليه السلام إلى بني اسرائيل..

وأما الزيد - الذي نراه قد علق بسيرة المسيح فيذهب جفاء وهو من صنع المفترين عليه وعلى حياته والذين جعلوا منه الهاً مقدساً هو والرب في صف واحد حتى قالوا (المسيح ابن الله) كما قالوا من قبل.. عزيز ابن الله.

وهو لا يستتشف أن يكون عبداً لله كل ذلك وأكثر من ذلك سنراه من خلال الصفحات القادمة ونرى فيه سبباً للانحراف عن الحقيقة الكبرى وهي معرفة الله مما يزيد الصراع بين الحق والباطل.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..

قصة زكريا عليه السلام

تلك قصة مريم، ومن قبلها، قصة امرأة عمران -أمها- وبينهما قصة زكريا مع ربه.. وهو الذي كفلها.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]

والغريب في الأمر أن الطلب جاء بعد فوات الأوان وأسبابه غير متوفرة بعد أن بلغ من الكبر عتياً..

وزوجته عاقراً، لا قدرة لها على الإنجاب، فالأمر - إن حدث فهو من قبيل الخوارق أو المعجزات ويندرج ضمن آيات الله العظمى..

كل ذلك منصوص عليه في القرآن الكريم فلو هضم المسلمون حقوق المسيح أو المسيحية لما كانت هذه الصورة الرائعة الناصعة البياض لكل ما يمت للمسيح وأمه بصله وقد وردت في أقدس كتاب..

فامرأة عمران -أم مريم- كانت عاقراً وزوجها قد بلغ من الكبر عتياً ولا تتوفر عناصر وأسباب الإنجاب لديها.

وزكريا الذي كفل مريم - كانت زوجته عاقراً وزوجها قد بلغ من الكبر عتياً واشتعل راسه شيباً..

فأسباب الإنجاب بينهما أيضاً غير متوفرة، مما أدى به إلى الإستغراب فقال:

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٤٠]

وكذلك مريم التي حملت بالمسيح هي الإخرى غير متزوجة.. وعليه فإن مجيء المسيح حسب نصوص القرآن بمثابة آيه ضمن آيه أخرى ثانيه وأخرى ثالثه... في أمه وأمها وفي كافلها زكرياً..

إذاً، نرى أن الحقيقة بكاملها، قد جاءت بالنص القرآني ولا اعتقد أحداً كائناً من كان يستطيع أن يضع هذه الإيماءات أو القصص الإخباريه على مسؤوليته وبمثل ذلك الوضوح - إلا من هو عالم بالغيب وبقصص الأولين والآخرين وهذا من اختصاص خالق البشر جميعاً حتى ان الله يقول لنبيه محمد عليه السلام..

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ أَيْهِمْ

يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]

قد نكون مبالغين في الأمر.. أو نتعصب لديننا، ولكن أمراً واحداً يؤكد ما نقول أن القرآن قدمضى عليه أربعة عشر قرناً وتعرض لعدة ظروف و أمم منهم الاعداء ومنهم الأصدقاء فلم لم تحرف آيات القرآن كما حرفت في الكتب السماويه الاخرى..

كما هو في الأنجيل أو في نسخ التوراه بحيث اختلفت وتعددت النصوص فيها كما يذكر القرآن في نصوصه الواضحه..

يضاف الى ذلك التأكيد - تأكيد آخر، إذ ما دام الرسول محمد ابن عبد الله لم ينل قسطاً من العلم. فكيف له أن يضع هذه الأمور بمثل هذا الإتران والصدق في التعبير والأخبار دون خلل أو فتور - في الآيات والسور..

هذه الأمور ستتضح أكثر فأكثر من خلال هذه الدراسة ولكن الآن نعود الى ميلاد المسيح عليه السلام وظروف الحمل والميلاد وذلك من خلال نصوص القرآن الواضحه ..

قصة ميلاد المسيح

فالمسيح كما ذكرنا جاء ميلاده بمعجزه، كما جاءت معه معجزات وأما نحن هنا فبصدد ميلاده المعجزه وبداية ذلك كما يلي:

١- التعبد والإصطفاء:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

٢- البشاره:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

أما كيف حدث الأمر فهو كما ورد في النص التالي:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [١٦] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مریم: ١٧، ١٦].
فهو قد جاءها على هيئة انسان سوي الخلقه كامل الصورة ليكون قادراً على مواجهتها في حالة اندهاشها واستغرابها كما حدث : ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مریم: ١٨]. فأجابها بكلام مفهوم معروف ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مریم: ١٩].. وتستمر في الإستفسار لأن الأمر

خارق للعادة: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فبين لها أن في ذلك آية للناس كمثل آية آدم وآية أمها وآية زكريا مع اختلاف نوع الآيات.. وهكذا بدأت المعجزة بحمل عيسى دون توفر الأسباب لذلك الحمل فمريم لم تتزوج بعد.. وهي لا يمكن أن تكون امراه بغيه أو تتعاطى البغاء سرأ لأنها معروفه بالتقوى والعباده والإعتكاف، لذا قالت:

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

فأمور الحمل والولاده غير متوفره - طبيعياً - فهناك إذن خارقة أو معجزة حدثت كما حدثت من قبل بهذا الخصوص، وكان ذلك من إختصاص الخالق..

فالذي خلق آدم عليه السلام من تراب، قادر على أن يخلق عيسى عليه السلام، من غير أب، فذاك آدم خلق من تراب - أي جماد وهذا عيسى خلق من أحياء..

رغم أن ظروف الحمل والولادة لم تتوفر.. وكأني بالخالق يؤكد المعجزات ويكررها بين مرحلة زمنيه وأخرى - إلى أن اكتملت بنزول القرآن المعجزة الأبدية..

فاجتماع الرجل والمرأة، مقدمة للتكاثر، وإن كان ذلك أمراً علمياً بحثاً إلا أن المشيئه الإلهيه تتدخل أيضاً في هذا، فتجعل من اجتماعهما، انثى أو ذكر أو لاشيء -أي عقم- نعم هذا اختصاص رباني لا دخل للإنسان أو للعلم فيه..

فآيات الله في الأرض والإنسان عظيمه وكثيره فلايمكن أن تضعف إرادته عن خلق عيسى من غير أب، وهو الذي خلق آدم من تراب.. فالأمر ليس غريباً على خالق الكون برمته، فلا يجب أن يستغل هذا الأمر العجيب-على الإنسان

لصالح تأليه -عيسى عليه السلام أو تقديسه، لأنه فقط ولد من غير أب وكأنهم يقولون أنه ابن الله ((أو طفل الله))..

ثم لماذا نبعد كثيراً، إذ ما الفرق بين من لاينجب شيئاً أو هو بالطبيعة عقيم ومن ثم يرزق بولد وهو في التسعين من عمره أو مايقرب من ذلك..

كما حدث للنبي زكريا عليه السلام وزوجته.. أليست هذه معجزة أخرى!! وكذا - امرأة عمران التي هي الأخرى لم تنجب وهي في الظروف العادية التي تؤهلها للحمل والولادة، ومن ثم لا يحدث ذلك إلا بعد فوات الأوان- وكذا إبراهيم عليه السلام، وزوجته، حين بشرته بسلام عليم.. ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ

فِيمَ بُشِّرُونَنِي﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٤﴾ [الحجر: ٥٤، ٥٥]

تلك معجزات.. وآيات الله العظمى في خلقه لعلهم يذكرون.. وكان الأجدى بأولئك، الذين إحتاروا في أمر المسيح بين مصدقين ومكذبين أو هم بين بين - أن يقرأوا تاريخ الرسل والأديان ويروا اضطراد السنن وثباتها سيما مع الأنبياء..

فيتأكد لهم، صدق المسيح وأمه، لاكذبهما.. وحتى الذين صدقوا منهم -غالوا في الأمر، وقالوا هو ابن الله فعبدوه، لذا أشركوا مع الله الهاً آخر وتلك قمة الوثنية والشرك..

فمن لايملك حقائق الأديان، لا يستطيع أن يحكم على سلامة الأمور فأولئك لايمكنهم أن يبشروا بما لايملكون إذ ضعف الطالب والمطلوب ..

ومن ثم نسأل كيف كان وقع الخبر على أهل قومها، لنر كيف جرت الأمور.. جاء في النص القرآني في سورة مريم:

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ، مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ ۖ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ

قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٢﴾ [مريم: ٢٢، ٢٣]

إِذَا كَانَتْ السَّمَاءُ تَرَعَاهَا وَتَتَبَتُهَا نَبَاتًا حَسَنًا لَتَوْهَلَهَا لِمَخَاضِ الْعَظِيمِ وَالْأَمْرِ
الَّذِي سَيَقْلِبُ الدُّنْيَا كُلَّهَا..

فمن البشاره جاءها الهدوء واليقين العظيمين - ومن قبلها تعودت الصلاح والتقوى والصبر، وخلال الحمل كان يرعاها الله ويحفظها من كل كرب.. حتى كيف تعمل حين المخاض، وكيف تأكل وكيف تشرب كل ذلك جاءها عبر الوحي والإلهام والأتحزن ولتحافظ على هدوء حالها ونفسها - فكل شيء ميسر لها..

﴿فَنَادَتْهُمَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَخْرُجِيْنَ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]

کما یوجہا کیف تآکل وتشرب :

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ يَجْذَعُ النَّخْلَةِ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]

وحتى صراعها مع أهل قومها - وهو الذي توقعته - كل ذلك كان يصلها
تباعاً وكأن هناك وحياً يوحى إليها فيقول لها:

﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ

إِنْسِيًّا ﴿مريم: ٢٦﴾.

وبعد أن ثبتتها، وتم لها الأمر على خير مايرام، من ناحية الحمل والولادة، وأخذت التعليمات لمواجهة القوم، بعد ذلك..

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]

براءة مريم

ومن يومها، تقابل مريم، بالانكران والجحود والتنصل منها مع ما كل ما لديها من الرصيد في الأدب والأخلاق والإيمان حتى استحققت وسام البطولة والصبر، فدخلت صفحات التاريخ من أبوابه الواسعة وسطرت سيرتها البريئة النقية الطاهرة في آيات محكمه لا لبس فيها ولا غموض.. ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيءُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

ومن ثم جاءت براءة مريم عبر هذا النص القرآني: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢]

وقد أشارت الى ذلك من قبل وبالنص القرآني أيضاً.. ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]

ولكن الإرادة الإلهية، ارادت ذلك وهي تقول للشيء كن فيكون.. ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

كل ذلك أدله واضح على براءة مريم، جاءت بالنص القرآني في الوقت الذي تحرف فيه مثل هذه الحقائق في الكتب الأخرى.

إما للتطرف وجعل المسيح ابن الله أو للتفريط وجعل المسيح ابناً غير شرعي لمريم.. لو قرأ دعاة التبشير والإستشراق تلك الحقائق بجديده وحياد، لأدركوا قيمة الدين الإسلامي، فقدروه حق قدره.. ولكنهم يغضون الطرف عن ذلك فيأخذون ببعض القرآن ويكفرون ببعضه وهم الذين جعلوا القرآن عضيئ.. ونستمر

بتوضيح الأدلة على براءة مريم وكذا سيرة المسيح من خلال النص القرآني - فهي هو الصبي عيسى يشهد ببراءة أمه فيقول:

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ۖ ﴾ [مريم: ٣٠-٣٢]

وعليه يمكن القول: إن هناك قضايا حيوية يمكن استخلاصها من هذه النصوص القرآنية:

أولاً- المسيح عيسى هو ابن مريم وليس المسيح ابن الله - كما قالت النصراني أو بعضاً منهم.

ثانياً- المسيح عبد الله، وليس إلهاً، مقدساً.. وليس، أيضاً هو ثالث ثلاثة وهذا ولا شك هو الشرك بعينه..

ثالثاً- ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وهكذا هو رسول إلى بني اسرائيل ليس إلهاً: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤٩] .

صفات المسيح عليه السلام

الحق، إن قصة المسيح وسيرته، متداخله بقصة وسيرة أمه مريم، ابنة عمران. ولكن مالذي يجعل حقيقته في القرآن بريئه ناصعه واضحه وضوح الشمس، وهي غير ذلك حتى بين أهل قومه ولم هم ناصبوه كل هذا العدا، حتى يخيل اليهم أنهم صلبوه، وكأنه ابنأ عاقاً أو ابنأ غير صالح، فلا نسمع من قصته عندهم، إلا الصلب والقتل ووضع الشبهات عليه منذ بدء حياته.. وحتى نهاية حياته أيضاً..

فصفات المسيح في القرآن ناصعة البياض - فهو مبارك، أينما كان.. براً بوالدته، ولم يك يوماً واحداً جباراً شقياً..

وهو فوق ذلك مقيم للصلاة، عابداً لله منفقاً في سبيله، فإن كان الإسلام بوجه عام، والقرآن بوجه خاص، يريد أن يناصب المسيح العدا، ويهضم له حقاً، أو يحرف سمعته، فلم كل ذلك الوصف والتقدير لشخص المسيح..!!

أيمكن أن يدرج ذلك في سلم العداوات أو الحقد أو التشهير وهو الذي قال عنه:

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]

لم هذا التطاول على أمة الإسلام وعلى كتابهم المقدس.. أيمكن أن يقابل ذلك التقدير، ووضعه وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين - بالنكران والحرب الشعواء على أمة الإسلام.. ومن هو الذي تطاول على شخص المسيح من بين المسلمين، حتى يتطاول أولئك السفهاء على نبينا محمد ﷺ الذي بشر بمجيئه، عيسى ابن مريم نفسه..

لم هم غير قادرين على فهم الأديان وتاريخ الأديان.. وإلا بدأ سفيهه تُصَوّر لهم الأمور على غير حقيقتها، لتبقى النار مستعره بين المسلمين والمسيحيين، وهم كان الأحرى بهم أن يدخلوا في الإسلام زرافات ووحداً حين علموا أن القرآن، والقرآن وحده قادر على إفهامهم حقائق دينهم ونبيهم..

فحقيقة أمه مريم، كما علمنا من النص القرآني، أصفى من اللبن، وهي غير ذلك عندهم، وحقيقة المسيح عيسى ابن مريم - في القرآن - هي أيضاً أنقى وأطهر من ماء الزلال.. أيمن بعد ذلك أن يقال أن الذي يدور بين الإسلام والمسيحية هو صراع أديان أو حقائق تصطرع وبعضها البعض..؟

الحق، أنا لأرى إلا بدأً إندست إلى التراث المسيحي الأصيل، وعبثت في طياته، حتى تاهت لديهم الحقيقة..

ولا بد أن ثغرة ما تشوه صورة الإسلام لديهم.. وإن لم يكن ذلك فيجب أن نبعد الأمور بأنه صراع أديان، وإنما هو صراع صليبي، مادي - سياسي مع الإسلام.. ولكن كان الدين جسراً لذلك، للعبور إلى ما يريدون.. وسنعلم ذلك جيداً وحقيقته في مواضيع أخرى قادمة.

ولكن علينا، قبل أن نتوه أو نضل، تبين حقيقة رسالته والمعجزات التي جاء بها، حتى يقنع أهل قومه بأنه رسول من الله إلى بني إسرائيل.. لا غير، وهم الذين كذبوه من قبل في شخصه وشخص أمه، فكيف له أن يقنعهم بما يريد أن يقوله، هذا الأمر يتطلب معجزات أيده الله بها، تجري على يديه.. يستعملها فقط للمحاجة لديهم ولانتقل منه إلى أحد غيره.. إن في جيله أو الأجيال الأخرى..

رسالة المسيح

قليل أن المسيح، بعث وهو في الثلاثين من عمره.. وكان جوهر دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضالة.^(١) جاء ذلك في كتاب أحمد شلبي - مقارنة الأديان، المسيحية وأما المعجزات التي وردت في القرآن الكريم على سبيل النص:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]

تلك معجزات أربعه وردت في سورة آل عمران في الآية ٤٩.. أما المعجزة الأخرى، والتي وردت في سورة المائدة فهي التي كانت حاسمه.. حين حاجوه في رسالته وألحوا عليه، حتى الحواريين منهم: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُوتُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئَن قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٢، ١١٣].

وهكذا لما رأى الأمر بهذه الصورة من المحاجة الشديدة وممن!! من قبل الحواريين، وهم المؤيدون الوحيدون لرسالته..

(١). المسيحية/أحمد شلبي/ص ٣٨

﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١٥، ١١٤].
 أَلْعَلَّيْنِ ﴿ [المائدة: ١١٥، ١١٤].

وهكذا - من الآيات المذكورة يمكن أن ندرج معجزات المسيح التي أيده الله بها كالآتي:

المعجزة الأولى - خلق طيراً من الطين ..

أحدهم^(١) قال أنه كان يعمل من الطين طيراً على شكل خفاش ثم ينفخ فيه فتسري في جسمه الحركة وتذب فيه الروح.. ومنهم من زاد في الوصف بحيث حدد كم متراً طار، وكيف!! ومنهم من قال أنه كان يجمع الصبيان ثم يخلق أمامهم من الطين طيراً فينفخ فيه فيصبح طيراً ذا حركة ونشاط..
 والحق لاتهمنا كيف، ومتى.. المهم أن خلق الطير من الطين أساس وارد وبالنص القرآني، وهذا أمر ليس غريباً على إرادة الله وقدرته، فهناك العصي تحولت الى ثعبان تلقف مايفك فرعون والسحرة الذين جمعهم.
 وهناك إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه كيف يحي الموتى ..

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

(١). المسيحية/أحمد شلبي/ ص ٢١١ / عن المنار

ولكن المهم في الأمر - أن كل ذلك يتم بإذن الله، فهذا هو عيسى عليه السلام يقول: ((أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله)).. فالفعل هو انساني الشكل ولكنه إلهي الروح والإرادة، ولا غرابة فعيسى مخلوق هو أيضاً بمعجزة.

كما ورد فيما سلف.. من هنا نود أن ننبه الى أن دراسة الأديان والأنبياء تحتاج الى علم وإيمان روحي - وقلبي، ولا تفسر بالعقل والمنطق أو العلم فقط.. فمنطق العلم مثلاً يقول ضرورة تزواج الذكر والأنثى من أجل الإنجاب، ولكن منطق الإيمان بالقلب والروح يقول:

باراده أخرى خفيه تتحكم بهذا الكون قد لا يفهمها العلم بقدر ما تفهمها كتب الأديان الصحيحه سيما القرآن..

فكيف لنا معرفة مولد المسيح من غير إيضاحات القرآن وإشاراته، والقرآن لا يخاطب العقل فقط.

ولكنه يخاطب جميع الحواس وعلى رأسها القلب الأمر الذي يجهله دعاة الصليبييه من المبشرين والمستشرقين حين أغلقوا قلوبهم عن حقيقة الله الكبرى.. في الأنفس والأفاق.

وهكذا لا بد من شحذ الحواس بتمامها وكمالها لفهم تاريخ الأديان والرسالات وقصص الأنبياء ومعجزاتهم وسير الأولين وآخرين..

والمعجزة الثانية - إبراء الأكمه والأبرص

وهذه المعجزة تفلسف في أمرها الكثيرون ونحن هنا في هذه الدراسة لاتهمنا تلك الفلسفة في قليل أو كثير، المهم أن هذه المعجزة كانت من معجزات المسيح عليه السلام وقد ذكرت بالنص القرآني بحيث لا تحتاج للتأويل وهي من اختصاصه هو

لأمن اختصاص المسيح أو الرهبان أو غيرهم الذين خلفوه من بعده.. فالمعجزات تأتي لظروف ومسببات وتنتهي بزوالهما لأنها غير خاضعة لقانون أو قاعده علميه دائمه فالذي يبقى آلي يخضع للناموس وقانون العقل والعلم اما المعجزات فهي من اختصاص المولى عز وجل ولا تعطى إلا بإذنه ولأسباب وظروف معينه.. وأعتقد أن زمن المعجزات قد انقضى وما بقى فهو خاضع للناموس العلمي بعد أن تشكلت البشريه بشكلها الصحيح والقادره على الفهم والإدراك بعد تمام الرسالات بمعجزه القرآن.. فالمعجزات وسيما الحسيه منها هي وقتيه التأثير تزول بزوال صاحبها أو وفاته وبزوال الظروف فمعجزه موسى- العصا..

انتهت ولا أحد يدعي من بعده بقدرته على فعل ما فعل موسى عليه السلام بعصاه وكذا عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام ..

أما المعجزه الثالثه:

فهي إحياء الموتى، فتلك المعجزه ظهرت واستعملت في زمن صاحبها ولظروف رساله ذاتها، فأمرها قد انقضى وما بقي الإنكراها لعلهم يتذكرون، ولايستطيع أحد أن يدعي لنفسه ذلك الحق بأية صورة من الصور..

أما المعجزه الرابعه:

فقد جاءت بنص الاية: ﴿وَأَنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] .

أي اخبارهم عن طعامهم سيما المجهول منه والتنبؤ به مستقبلاً أو ما ادخروا منه.. وتنتمه معجزات عيسى عليه السلام هي المائدة التي طلبها الحواريون -حتى يتأكدوا من صدقه.. وجاء ذلك في النص الآتي قال تعالى : ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ
وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ [المائدة: ١١٤]

وفعلًا نزلت مائدة من السماء وهو ما يعترف به أهل قومه حتى اليوم - الأمر الذي يؤكد عظمة الله وقدرته لاقدره المسيح وعظمته.. وهذا يدخل في صميم رسالته وفحواها التي جاء بها وامتلك كل هذه المعجزات من أجل تحقيقها وسنعلم ذلك في موضوعنا التالي..

جوهر رسالة المسيح

ولكن ما الذي جاء به المسيح، حتى أيده الله بكل تلك المعجزات!! أو ما الذي جاء به المسيح حتى امتلك كل تلك المعجزات، أو ماهو الهدف الأساسي من رسالة المسيح..

فالمعجزه الأولى جاءت بمولده.. إذ كان ميلاده معجزه حقاً، ولكونها معجزه لا يصدقها العقل - جاءت معجزه أخرى تفسيريته للأولى فكانت معجزة الكلام وهو في المهد - أي وهو صبي - فهذه كانت بمثابة شهادة براءة لأمه، ولكنها أيضاً بمثابة معجزه وإن لم تتكرر ولاشك أنها لتأييد رسالته، وأنه لم يأت بها من ذات نفسه وهو مؤيد من قوه أعلى من قوته..

وإذا أسلم الإنسان للحس الفطري وما يمتلك من الشعور الديني الفطري فإنه يستطيع الربط بين ذلك الذي أنطقه وبين خالق السماوات والأرض وهي الظاهره للعيان، وأن القادر على الأولى هو نفسه ولاشك قادر على الثانيه وهذا من اختصاص القادر الخالق ..

لذا كانت أولى أهدافه - كما نرى - هي الدعوة للتوحيد الإلهي والتصديق لما بين يديه من التوراه كما يقول هو، ماجئت لأهدم الناموس ولكن جنئت لأتمم الناموس، وهذا مناطق به القران في أكثر من آيه أنه ما جاء الا للتصديق بالرسالات وبالأخص رسالة التوراه، ومن ثم التبشير برسالة القران..

وأن مصدر ذلك كله هو الله - تعالى عما يشركون- فلا داعي إذن للشرك والإلحاد ..

ومن يؤمن بذلك - يدرك إدراكاً عاقلاً ماهية الأديان والرسالة الواحدة التي جاءت بها من حيث الهدف والوسيلة، أما الأهداف فهي:
أولاً- الدعوة للتوحيد

وهكذا نرى أن الهدف الأول لرسالة عيسى عليه السلام هو نفس الهدف الذي جاء به محمد عليه السلام، وهو أيضاً هدف التوراه الصحيحه، لاغرابه فالمرسل واحداً وإن تعدد الرسل ..

وهو الذي أدرکه النجاشي ساعة سماعه رسالة محمد عليه السلام وهو المتعمق برسالة عيسى عليه السلام فقال:

((إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحده)) ودعوة المسيح التوحيديه جاءت بالنص المطلق في القران كما نرى:

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ إِنَّهُ فَفَقَدَ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] . وعليه فهو عبد لله جاء برسالة محدده عليه تبليغها.

﴿فَيَقُولُ﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

إذا القضية الأساسية في حياة المسيح - كانت الدعوة للإسلام وليس لأي دين آخر، وهذا أمر حسمه القرآن في الآية :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ ﴿٥٢﴾ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

إذا التسمية الحقيقية لأتباع المسيح أو الحواريون الذين ساندوه ونصروه هي أنهم مسلمون.. وهذا اعتراف حقيقي لامجال لتكذيبه ولوأمكن تحريفه وتكذيبه لثم فيما مضى ونحن مستضعفين ويملكنا الإستعمار من أصغر شيء فينا الى أكبر شيء..

ولكن الله حفظه من التحريف أو التبديل.. ليكون أبداً مستند صدق يحسم قضايا الغيب وأخبار الديانات وقصص الأولين وهي التي تغيب عن الناس ولا تغيب عن خالقهم، وهكذا كان..

فالقضية الأساسية مع أهل العلم من الذين أتوا الكتاب ولم يتعصبوا لدينهم كانت سهلة، فكم مؤمن بالمسيحية انضوى تحت لواء الإسلام وأصبح من المنافحين عن مبادئه مثله مثل الحوارين من أنصار المسيح الذين قالوا اشهد بأننا مسلمون وها هي آية أخرى توضح ذلك.. ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنَّ ءَامِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

ولكن قضية التوحيد الإلهي - كان قد جاء بها موسى عليه السلام فلا يمكن أن يكون عيسى قد جاء بقضية واحدة والبشرية قطعت شوطاً بعيداً على درب التوحيد الإلهي.. من إبراهيم إلى يعقوب ويوسف ومن قبلهم نوح وهود وصالح.. الخ

فلا بد أن في الأمر قضايا أخرى جاء بها أو للتذكير بها، وأن هناك ظروفًا أخرى اقتضت مجيء نبي مثل عيسى للتذكير بما ذكر به موسى وهو الذي جاء أيضاً لبني إسرائيل.. والمعروف من الظروف البيئية التي كانت تسود تلك الفترة وأهلها هي ظروف مغرقه في الوثنية المادية وحب الشهوات والتمادي في أكل أموال الناس واستغلالهم بالربا وغيره والتطفيف وخسران الميزان..

وكل ذلك قضايا أساسية في الرسائل السماوية، كما هو معروف في رسالة شعيب في الميزان والتطفيف.. وكذا مع غيره من الأنبياء...

ثانياً- العمل الصالح

والقضية الثانية.. التي جاء المسيح من أجلها، هي الدعوة للأعمال الصالحات، وهذه مرتبطه ارتباطاً وثيقاً بالتوحيد الإلهي المطلق إذ أن الوثنية المادية واتباع الشهوات وترك الأعمال الصالحات كانت ظواهر أساسية في النظم الوثنية قال تعالى: وهو العالم بأخبار الأولين.

﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾
[مريم: ٥٩].

وهكذا كان المسيح من يومه، لابل.. من بطن أمه روحياً في حياته وفي دعوته، وقد نبه قومه إلى مساوئ التمادي في الغي المادي واتباع الشهوات ودعا للزهد والتواضع واتباع الصلوات والإنفاق في سبيل الله، ورفع الظلم عن المظلومين ..

وهذا أيضاً مادعا إليه الإسلام.. وما جاء من أجله الرسول محمد بن عبد الله، لا غرو فدعوته ودعوة الإسلام يصدران من سراج واحد.. وهكذا، يمكن أن نلخص

الأعمال الصالحات التي يدعو إليها المسيح تحت بنود رئيسيه محدده وإن تفرعت إلى تفاصيل وتفاصيل وأعمال ثانويه..

إلا أنها تنصب على الأطر والقواعد أو المبادئ الإسلامية الآتية. العبادات، المعاملات، والأعمال الصالحة وسنناقش كل منها بنوع من التفصيل..
أولاً- في العبادات

دعا إلى الخلوص في العبادة، لله وحده ولا أحد غيره كما أوردنا سابقاً في القضية التوحيدية والعبادة، أنواع - الصلاة والزكاة.. الخ

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وقبلها في نفس الآية تقريباً أو الآية التي قبلها : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

فالإيمان كما نرى يستتبع العبادة والخلوص لله تعالى وحده وكما رأينا كانت الصلاة أساس العبادات لديه أو هي عماد الدين فهي مظهر من مظاهر الخشوع لله. تأت بعد الإعتراف بالقلب والإقرار باللسان، بأن الله وحده هو المعبود وهذا هو ما جاء به الإسلام فأى فرق بين ماجاء به محمد بن عبدالله، وما جاء به عيسى بن مريم ..

فإن كان من فرق.. فهو التمام والكمال لكل الرسالات - جاء برسالة محمد القرآن، فهي الكل والتوراه والإنجيل أجزاء ولا يوجد تناقض واحد بينهما - طبعاً التوراه الصحيحه والإنجيل الصحيح الذي نوّه عنهما القرآن.

والعبادات التي جاءت في الإسلام كانت أكثر تفصيلاً منها في التوراه والإنجيل حيث جاءت رسالة القرآن بالصوم والصلاه والزكاه والحج وبداية ذلك الشهادتين.. ولكن الأساس واحد والعباده لإله واحد..

ثانياً- المعاملات والأعمال الصالحة

فأول قضيه ناقشتها رسالة المسيح هي قضية المراه التي كانت مظلومه ومقهوره في العهود التي سبقتة أو بين القوم الذين جاءهم فأول ما أوصى الابر الوالدين وهي نفس القضية التي جاءت بها رسالة محمد.. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

فالعباده كانت أولاً.. وبر الوالدين ثانياً هذا ترتيب الأولويات في الرساله القرآنيه.. أما في رسالة المسيح فيقول المولى عز وجل على لسانه.. ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

فالأمر أكثر من واضح، إذ ما دام المسيح لايملك من الوالدين إلا الأم فقد جاء البر، هنا خاصاً بوالدته، ليؤكد بنفس الوقت قضية براءة أمه وأنه مولود من غير أب.. ويدخل ضمن بند المعاملات والإحسان للناس والتودد اليهم باللين واللفظ والأخذ بيد الضعفاء والفقراء منهم.

وذلك الأمر من أكبر وأول اختصاصات رسول الإسلام محمد بن عبد الله وهو الذي جاء فقيراً - يتيماً لاحول له ولاطول، بذأ عرف كيف يوصل الحقوق

والمعروف للفقراء والمحتاجين والمساكين والضعفاء وهي المراحل التي مر بها قبل أن يصير نبيا..

ثالثاً- العدل في الحكم

أما القضية الأخرى، بعد الدعوه للأعمال الصالحة وبعد قضية التوحيد الأولى التي ناقشناها في بداية هذا الموضوع فهي قضية الحكم والعدل فيه وقد جاء ذلك في التوراه والإنجيل بنصوص قرآنيه واضحه وجهت للرسول محمد بن عبد الله، حين طلبوا منه أن يحكم بينهم ..

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٣] .

وليؤكد على حقيقة التوراه الصحيحه وقربها هي والإنجيل من الإسلام يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤] .. وأما الآيه الشامله لذلك فهي: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ﴾ [المائدة: ٤٦].

فإن كانوا يبيغون الحكم، الحكم العادل.. والقول الحق فهو موجود لديهم ..

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

لو فعلوا ذلك.. وعلى أساس من الإنجيل الصحيح لوجدوا أنفسهم والمسلمين في مرتبة واحدة ومن ثم اختاروا الإسلام شريعة لهم، فهو شامل لكل أحكام التوراه والإنجيل وهو مبرأ عن التحريف والتبديل وهذا عهد من الله..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فذلك هو الحكم الإلهي ((أفحكم الجاهلية يبغون)).. فإله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والمساكين وابن السبيل.. الخ

الموقف من رسالة المسيح

أولاً_ من الأتباع:

وهكذا فهمنا فهماً صحيحاً، ومن كتاب لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه -حقيقة المسيح، وحقيقة رسالة المسيح فكانت حقيقة المسيح ورسالته في القرآن، ناصعة البياض..

كيف لا وهي توطئة لمسيرة الإسلام ومجيء القرآن وكان تبشيراً برسول يأتي من بعد عيسى اسمه أحمد ((محمد ﷺ))..

وقبل ذلك رأينا، كيف كانت حياته - مع أهله وذويه وأهل بيته وأخص بالذكر هنا أمه.. كيف كان باراً بها.. وأخلاقه وكرمه، كل ذلك استحق عليه الذكر بآيات ونصوص قرآنية لاتزول مادامت الحياة.. إنها شهادة تقدير من المولى عز وجل لهذا الإنسان، والنبي العابد المخلص في عبادته لله، كان حامداً شاكراً لأنعم الله، لم يفكر قط بملىء معدته، جل همه كان ملىء روحه وقلبه بالإيمان..

تلك حقيقة المسيح برزت واضحة في القرآن الكريم.. وبعد ذلك يقال أن الإسلام هضم حق المسيح.. لا أعتقد أن عاقلاً واحداً يقرأ تلك النصوص، يمكن أن يتهم القرآن بالتحيز والإسلام بالتطاول على شخص المسيح.. وحتى رسالته التي جاءت في الإنجيل - والتي ابرزناها بنصوص قرآنية، كانت هي توطئه لمبادئ الإسلام وتصديقاً له كما هو مصدقاً لما بين يديه من التوراه والإنجيل ..

فلا حق المسيح مهضوم ولارسالته مهضومه، في النصوص المعترف بها في الإسلام.. أما إن تطاول أحدهم عليه، فهو تطاول شخصي لايعبر إلا عن رأي صاحبه.. ومثل ذلك حدث في الدين المسيحي من أتباعه، وحدث مثله في الدين الإسلامي ومن أتباعه أيضاً.. الفرق أن التطاول والتحريف إن حصل.. له تأثيره على التوراه والإنجيل، أما القرآن فلا أحد قادر على ذلك، فذلك وعد من الله.. لأنه يقول عنه إن فيه قول الفصل لكل الأمم والأديان ولأخبار الأمم والأولين..

ولكن مادام الامر كذلك، من اليقين والوضوح بخصوص الإنجيل الذي نحن بصدده أو رسالة المسيح المنصوص عليها في القرآن، نعم مادام الأمر كذلك فما هي الانحرافات والأباطيل التي دخلت رسالة المسيح المعترف بها من السماء .. وكيف حدث ذلك الزيف والأباطيل!! وإن كان القرآن جامع للأخبار والقصص، أليس الأجدر به أن يذكر ماحدث من انحرافات في الرسالات المذكوره..

كل ذلك حدث ومنصوص عليه في القرآن الكريم بنصوص واضحة لتبيان قصة الذي حدث في الإنجيل من تحريف أو تبديل، وكيف حدث!! وما الهدف من ذلك التحريف.. وهل كان لذلك التحريف أثر على إنكاء الفتنه بين المسلمين والمسيحيين.. كل ذلك سنأتي عليه في الصفحات القادمه:

كان الإنحراف الأول هو في المبدأ الأول لرسالة المسيح وهو:

١- التوحيد المطلق والإيمان بآله واحد، لا شريك له.. والتحريف الذي حصل هو الشرك بالله وأما الشركاء فهم:

المسيح نفسه وهذا بسبب المغالاة في حب المسيح - الأمر الذي قالوا عنه شتى الأقاويل، من أجل تقديسه وتقديره.. حتى أصبح شأنهم وشأن الذين يعبدون الأوثان سواء فاستبدلوا الله وعبادته وتقديسه بعبادة المسيح أو تقديس المسيح، وهو لفرط حبهم له:

﴿وَقَالَتِ الْتَصَرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]

٢- تقديس أمه مريم: وهذا منصوص عليه أيضاً بالقرآن لتبرئة ساحة عيسى مما يفترون.. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^١ أما اعترافه فهو يقول:

﴿قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

٣- تقديس الرهبان من بعد المسيح أو الأقباط، إذ تأصلت فيهم الوثنية وعبادة الأشخاص، كان الأول المسيح.

ومن ثم بحثوا عن شخص تتقمص فيه شخصية المسيح فكان البديل الراهب أو البابا - وهو الإنسان الممثل الشخصي للرب على الأرض بدلاً من المسيح.. لذا

هو السيد المطاع، وهو الذي يمنح صكوك الغفران لأنه الواسطه إذ لاسبيل إلى الله عندهم إلا بواسطه، وهذا هو الوسيط وهو مذكور عليه آيات في القرآن وبالنص..

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وهكذا اتضحت حيثيات القضية فبان المسيح على حقيقته في القرآن من طهر وتقدير..

وذاك هو التزييف، الذي حصل من أحباء المسيح والذين هم قدسوه، فتارة هو الرب الحقيقي وتارة هو المتقمص لله في شخص المسيح والثالثة هو ابن الله - كما رأينا فيما سلف وهذا الخلط والشرك بالله استتبع معطيات كثيرة وحقائق مشوهه عن الأديان الأخرى، مما أدى بادیء ذي بدء إلى تقديس المسيح وإنكار ماعداه والإيمان به وتقديسه والكفر بما جاء به الرسول (محمد ﷺ)..

وكلها قياسات مادية مصلحيه لا تصل الى حقائق الأمور وجذورها وهذا قصور في فهم الرسالات السماويه..

وأخذ انطباعات خاطئه عن الخالق لأن التراث الذي نهلوا منه فيه تغيير وتبديل يخدم المصالح والأهواء والتيارات السياسيه لاغير..

ولاغرو فالحقيقه الكبرى - حقيقة الله، تجسمت في شخوص إنسانيه تتركها الأبصار، وكان الملكوت السماوي انتقل بنزول المسيح أو بمجيئه، إلى الأرض..

من هنا يجب أن نتوقف طويلاً عند هذا التغيير وهذا التحريف للحقائق وهي التي فعلت فعلها في الصراع الإسلامي المسيحي حتي لكأنني بهم يصورون الله

بصيصه مقبولة لديهم ولكنها غير مقبولة للآخرين فكان الإله - إلههم والملكوت السماوي هم رؤساؤه، كيف ل اوهم أتباع المسيح والمسيح هو الرب :

((سبحانه وتعالى عما يشركون)) وقد قال لهم ألف مره ومره أنه لايزيد عن عبدّ الله، الواحد القهار وأمه صديقه تاكل كما يأكلون وتشرب كما يشربون وهو وأمه سواء..

إذا كان ذلك من أعباء المسيح والمؤمنين برسالته فما الذي حصل من أعداء المسيح، هذا ما سنراه في الموضوع التالي..

ثانياً - من الأعداء:

القضية الأولى، كانت متعلقه بميلاد المسيح وبراءة مريم فالذين افترضوا على أمه بالكذب والبهتان والقول الزور وطعنوها في شرفها كثر.. وهي من ذلك براء بشهادة السماء..

﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]

والذي يتهم شخصاً ما - وفي أعز ما يملك لابد أن يُحرّف ويضلل من حوله ليُصدّقوه فيما يقول لذا دار اللغط حول المسيح وأمه ومن الذين كفروا به وكذبوا برسالته وهؤلاء اتخذوا الجانب العدائي من رسالة المسيح.. وإن كان عداؤهم واضحة وجلياً إلا أن الافتراءات حول رسالة المسيح وما جاء به أخذت عدة أشكال واتجاهات..

فالتى لم تنفع في دحض رسالة المسيح اتجهوا إلى فرية أخرى لعلمهم ..

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] .

وهؤلاء الذين ناصبوه العداء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ

اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] .

وهم من بني إسرائيل أو غيرهم قالوا عنه شتى الأقاويل كما يخبرنا به

القرآن.. وهذه جراه لا مثيل لها، إلا أن القرآن يذكر غير ذلك.. فيقول تعالى: ﴿وَمَا

قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. ومن ثم اختلفوا بينهم، بين مصدق ومكذب فاتبعوا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً..

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا

قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] .

وهذا الشك أحدث اضطراباً في الاعتقاد، بين أهل الكتاب فالتمس البعض

المبررات لموت الرب ودار حول ذلك لغط كبير وتفسيرات كثيرة كيف لا،
والحقيقة عندهم غير واضحة..

فمنهم من قال بعقيدة الصلب وآمن بها كي يبرر الذي سمع به أو رآه أمام

عينيه - وهذا أيضاً أحدث اضطراباً في العقيدة وأسسها لابل أتى عليها من
القواعد..

فإنه حي لا يموت فكيف يموت ويصلب المسيح، إذ كيف يكون الرب بمثل

هذا العجز غير القادر حتى الدفاع عن نفسه.

فما بالك بنصرة المستضعفين في الأرض.. وأصبح القوم حتى يومنا هذا

يفسرون ذلك كما يحلو لهم..

أما فأحيلهم إلى القرآن العظيم ليختصروا الزمن فيعرفوا الحقيقة التي ضاعت وكان لضياها أثرٌ عظيم على الأمم والشعوب والأفراد.. نحن هنا نورد رأي القرآن في المسيح، وأن المسيح لم يقتل ولكن الله رفعه إليه ليظهره من الذين كفروا وهذا جاء بالنص الآتي:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَسُوعَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنَّكَ مُؤْتَفِئٌكَ وَإِنِّي مَظْهُرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
[آل عمران: ٥٥].

نهاية المسيح

نعلم أنه قد حدث لغط كبير حول وفاته أو رفعه كما سنرى:

نعم كما يظهر من الآيه السابقة أو غيرها، حدث اختلافات كثيرة حول مصير المسيح الحقيقي إن كان قد مات على الأرض ودفن فيها أو رفع إلى السماء بروحه وجسده ساعة الهجوم عليه للقبض عليه ومن ثم صلبه.. وما لنا من حيله هنا بعد أن حصل الإختلاف في التفاسير إلا أن نعرض بعضاً منها ومن ثم نعرض في نهاية المطاف لرأينا في الموضوع.

ونبدأ بتفسير المنار يقول محمد رشيد رضا في هذا التفسير عن الآية (٥٥)
آل عمران المذكورة سابقاً ما يلي: (١)

روي عن ابن عباس أن تفسير التوفي هنا بالإماتة كما هو الظاهر.. وعن ابن جريج - تفسيرها بأصل معناها وهو الأخذ والقبض والمراد منه ومن الرفع انقاذه من الذين كفروا.. وقال ابن جرير بسنده عن ابن جريج.. فرفعه إياه - توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا..

أي ليس المراد الرفع إلى السماء لا بالروح ولا بالجسد ولا بالروح فقط.. والمشهور بين المفسرين: وغيرهم أن الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء واستدلّاهم على ذلك بحديث المعراج الذي رأى فيه النبي (ﷺ) ..

عيسى ابن مريم وابن خالته يحيى في السماء الثانية ويستمر فيقول، ولو كان هذا يدل على أنه رفع بروحه وجسده إلى السماء لدل على رفع يحيى وسائر من رآهم من الأنبياء في سائر السماوات.. ولم يقل بهذا أحد.

أما الإمام الرازي فيقول في قوله تعالى: (إني متوفيك..) أي منهي أجلك ورافعك إلى أي رافع مرتبتك، ورافع روحك إلى ومطهرك، ومخرجك من بين الذين كفروا (١).

أما الشيخ شلتوت، شيخ الجامع الأزهر سابقاً فيقول إن كلمة التوفي تعني في القرآن - الموت، حتى صار هذا المعنى.. هو الغالب عليها.. ويقول الألوسي في روح المعاني عن (إني متوفيك) أي إني مستوفي أجلك ومميتك موتاً طبيعياً أما الرفع بعد الوفاة، فهو رفع المكانة لارتفاع الجسد..

أما ابن حزم فيقول في الأهواء والملل والنحل - وهو يتحدث عن المسيحية، إن الوفاة تعني الموت الحقيقي، وهو يقر بعودة المسيح ثانية.. وهكذا نرى أن مجموعه كبيره من المفكرين..

ترى أن المسيح قد مات ميتةً طبيعية شأنه شأن أي إنسان مات، أو أي نبي وهو كمثلهم وقال مثل ذلك الأستاذ محمد أبو زهرة والشيخ المراغي.. إلخ (٢).

(١). المسيحية/ص ٥١

(٢). المسيحية / ص ٥١-٥٢

ومن هذا يقرر أحمد شلبي في كتابه المسيحية ما يلي:

إن القول بأن عيسى قد رفع بجسمه وروحه هو اعتقاد متأثر بالإتجاه المادي في الإنسان ومتأثر كذلك بالفكر المسيحي الذي يرى أن عيسى عليه السلام هو الإله الإبن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله - الأب.. إلخ^(١).

ويستطرد فيقول: أما المسلمون الذين يعتقدون أن الله واحد وأنه في كل مكان وليس جسماً فكيف يوفقون بين هذا وبين رفع عيسى، ليكون مع الله..

..فإنه في كل مكان، ولو بقي عيسى على الأرض لكان مع الله أيضاً وكيف

يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ولا بأس ان أضع رأياً حول الموضوع أو هذه القضية المهمة:

١. إن الإنسان أي إنسان لا بد أن يخضع لظاهرتي الموت والحياة ومن دونهما لا تتم له الحياة على الأرض - إلا أن أمثلة للوفاة قد تظهر ولكن الى حين مؤقت.

ومثل ذلك النوم والإغماء - فقدان الوعي والحركة لبعض الوقت والموت أيضاً قد يتم بعدة أسباب، بالقتل أو بالمرض.. أو بدون ذلك فقد يموت الإنسان أو الحيوان وهو واقف ودونما سبب ظاهر وصدق الشاعر وهويقول:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وهكذا فالموت الحقيقي واحد، وهو الموت الذي يدوم أجله فلا يرى بعدها الميت ولا يأكل ولا يشرب ولا يمشي.. وكما قلنا هذا الموت لا بد أن يمر به كل

(١) المسيحية/ أحمد شلبي/ ص ٥٨

كائن حي.. حتى ولو بعد ألف سنة من العمر وهو ما يسمى بأرذل العمر كما حدث لنوح الذي عاش أكثر من ألف عام..

وكذا الحياة فإنها بداية الشيء على الأرض أو بداية الكائن الحي على الأرض - وهي تأذن ببداية حركته ومشيه وسمعه وإبصاره وإدراكه وأكله وشربه.. ولكن الحياة تخضع لنظام ثابت وهو التزاوج بين الزوجين الذكر والأنثى، وبدونهما لاتتم عملية التكاثر اللهم إلا في حالة الإستثناءات.. ومثلها- أن آدم جاء من غير الزوجين الذكر والأنثى وحواء جاءت من غير الأنثى فهي كما يقال خلقت عن طريق آدم .. (وجعل من أنفسكم أزواجاً)..

وعيسى جاء من غير أب- أي مثله مثل آدم خلق من تراب، وليس المقصود هو الطريقة التي جاء بها آدم وإنما بمعجزة كمعجزة آدم الذي جاء من تراب، بادىء ذي بدء.. وعليه يمكن القول:

مادام خلق عيسى جاء بمعجزة، فلم تكن وفاته أيضاً تمت بمعجزة سماوية أخرى أو لنقل نهايته بمعجزة سماوية..

٢. إن كلمة الوفاة التي وردت في الآيات قد تعني معاني غير الموت الحقيقي ومثل ذلك ورد عن النوم، أو الإنتهاء من الأرض، وهذا لا يتعارض مع الرفع لأن الرفع معناه أيضاً إنتهاء الحياة الأرضية وقال الحسن عن الوفاة - إنها وفاة منام..

٣. ثم إن الآية تقول: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

إن إنتهاء عيسى من الأرض واختفائه عن أنظار البشر قد تعني النوم أولاً.. أما الرفع فهو المرحلة الثانية.

والتطهير هو الخلاص من الذين كفروا.. وعملية الرفع هنا هي المرجحة لأن معنى الوفاة الحقيقية لا تحتاج كلمة الرفع والتطهير فكان من الممكن أن يقتل بعد صلبه فيموت شهيداً ثم يخضع للآية التي تقول:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [ال عمران: ١٦٩] .

ساعاتها تكون الوفاة قد تمت بطريقة عادية، مثله مثل يحيى الذي قتل.. ولكن كلمة الرفع هنا تعني رفعه إلى السماء ساعة محاولة القبض عليه، لصلبه.. ولكن كيف كانت عملية الرفع، وماهي المرحلة التي سبقت الرفع، وكيف غاب عن الأعين..

فهذه قد يكون فيها لغز الوفاة ولكن بطريقة إعجازية كما حصل في ميلاده الإعجازي، فمعجزة آدم عليه السلام معروفة إذ مادام الله جاعل في الأرض خليفة، فلا بد أن يكون خلق آدم أولاً.. لا تهم الطريقة ومن ثم خلق حواء..

أما خلق عيسى عليه السلام من أنثى وبغير ذكر فهذه معجزة عظمى، والذي هو قادر عليها، لاشك أنه قادر على رفع عيسى بمعجزة أخرى وإن كان قبل الرفع قد حصل شيئاً ما. من وفاة عادية أو غير عادية أو إنتهاء عادي أو غير عادي..

وبقي أن نقول أن القتل لم يحدث والصلب لم يحدث أيضاً ولكنه شبه لهم وكأن شيئاً ما حصل خلال هذه المحاولة ليتمكن عيسى من الولوج إلى السماء أو أنه وهو مرفوع إلى السماء بإذن الله قد أخذ شكلاً آخر لا يراه الناس ومن ثم إن حصلت الوفاة الحقيقية.. فلم لم تظهر آثار تلك الوفاة بين مريديه وأتباعه بعد كل هذه السنين من اختفاء عيسى وانتهائه.

ومن ثم لو حصلت الوفاة بالقتل والصلب ألا يمكن أن يكون مطهراً مخلصاً من الذين كفروا كيف لا وهو من النبيين والشهداء والصالحين وهم الأحياء عند ربهم ومن المطهرين..

أما إن كان النصارى هم المستفيدون من ذلك أو غير المستفيدين فهذا أمر آخر لا يجوز أن يقحم في حقائق ثابتة..

لأنه قد يحسب من باب التعصب الديني فالأمور لا بد أن تؤخذ على حقيقتها لا تؤخذ بالظن، لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً، والحق أحق أن يتبع، فلا يمكن أن نأخذ بكلمة متوفيك على أنها الوفاة الحقيقية، نحرزاً من مطامع النصارى وتعزيز عقائدهم.. على أن نأخذ بكلمة الرفع هذه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ^{١٥٧} بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿[النساء: ١٥٨، ١٥٧].

قال ابن جرير عن مجاهد: رفع الله عز وجل - عيسى إلى السماء حياً.. والدلائل إلى هذه الآية التي تعني الرفع، كثيرة سقناها فيما سلف يضاف إلى ذلك، أن كلمة الوفاة تعني الإخفاء أو الإنتهاء أو النوم أو الإنحجاب عن الناس، وهذه بعض الآيات قد تساعد على فهم بعض هذه المعاني، قال تعالى في محكم آياته:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠].

يقال أن كلمة - يتوفاكم هنا تعني قبض الروح في النوم وهذا ماورد في تفسير الجلالين وكذا يقول القرطبي: ليس ذلك موتاً حقيقة بل هو قبض الأرواح. أما في الآية الآتية وهي الآية ٤٢ من سورة الزمر فقد تعني كلمة (يتوفى) نفس المعنى

(النوم) قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

وهكذا يكون الموت واحد ولكن الوفاة ليست واحدة بل هي قد تكون في الموت الحقيقي وقد تكون في المنام.. وكأنه يقول:

(الله يتوفى الأنفس حين موتها.. والتي لم تمت يتوفاها الله في منامها..)

وهكذا نخلص إلى إستنتاج مفاده..

أن القاعدة الأساسية في الموت - أن كل حي ميت كما هو في الآية: ﴿إِنَّكَ

مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] .

وأن كل حي لابد من زوجين اثنين - الذكر والأنثى.. وما دامت تلك قواعد أساسية في الموت والحياة فإن عليها استثناءات، فكان عيسى عليه السلام استثناءاً.. من قاعدة الزوجين الذكر والأنثى، إذ جاء من أنثى فقط.. وعليه يمكن أن يكون استثناءً عند وفاته. إذ قال المولى عز وجل: (وما قتلوه) - (بل رفعه الله إليه).. وهكذا نتضح الآيات، وتتفصح الضبابية عن إنتهاء المسيح وطريقة إنتهائه من فوق الأرض، وهو لم يقتل، ولم يصلب ولم يمت بل رفعه الله إليه لأنه لو لم يقصد الرفع المعروف، بل هو التكريم، لما كان مدعاة لهذا النص الواضح لأنه نبي ومظهر ومكرم شأنه شأن الأنبياء مهما كانت طريقة وفاته، بالسيف أو بالصلب أو بالقتل.. ومثل ذلك حصل مع النبي يحيى، كما ذكرنا سابقاً..

أما الآن فتبقى قضية النزول، هل هي واردة أم غير واردة ولنستعين ببعض النصوص القرآنية أو بالأحاديث الصحيحة فنقول:

عودة المسيح الى الأرض

قال تعالى في محكم آياته: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُكُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ^٤ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١] .

وكان الحديث أولاً عن بن مريم والآيات هذه تؤكد حقيقته فيقول تعالى في محكم آياته. وفي مكان آخر من نفس السورة..

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمَ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا

مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨-٦٠].

وبعد ذلك جاءت الآية التي نحن بصددتها رقم ٦١.. والتي توضح أنه شرط من أشراف الساعة لابد من نزوله قبل حدوثها.. قال رسول الله ﷺ عن هذا الموضوع..

(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حاكماً عادلاً مقسطاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير..) هذا الحديث ورد في البخاري ومسلم.. أما الآية الآتية:

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وأظن الإيمان هنا - يعني النزول مرة ثانية ليؤكد حديث الرسول فيعدل بين الناس ويتأكد ساعتها أهل الكتاب من صدق رسالته فيؤمنون بصدقها وإيمانهم قد يكون كإيمان فرعون.. بعد فوات الأوان كما يقول أحدهم^(١).
وهكذا رأينا بحق وحقيقته كيف عالج القرآن وبنصوص واضحة حقيقة المسيح ورسالته..

(١) انظر/في ظلال القرآن /ج٦/ص١٤/سيد قطب

الفصل الثاني

حقيقة المسيح في الإنجيل

أما حقيقة المسيح والمسيحية، في الإنجيل فهي مختلفة باختلاف مصادرها وأصحابها ودوافع مؤلفيها أو ناقليها، إذ لم تسلم مسألة واحدة تتعلق بالمسيح وسيرته من الوجود إلى الرسالة إلى المعجزات إلا وقد إكتنفها التشويه أو الحيرة أو الإضطراب أو الشك.. فما هي حتى مسألة وجود المسيح نفسه تتعرض وما زالت من المفكرين للشك والاختلاف وهذا واضح من مصادرهم ..

(فيقول بولنجيرك والملتون حوله من أن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق)، وجهر قلني بهذا الشك في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره عام ١٧٩١م، هذا الكلام منقول، بالحرف عن قصة الحضاره لكتابها.. ول ديورانت، و مترجمها محمد بدران^(١). وفي مكان آخر من قصة الحضاره يقول ول ديورانت..

يرى برونوبور: (أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير).. كما أنكرت المدرسة الهولندية - مدرسة بيرسن ونابر ومثتاس وبعد بحوث مضمينة حقيقة المسيح التاريخية.. وفي انجلترا أدلى w.b.smth بحجج لإنكار وجود المسيح.. أما بخصوص^(٢) الأتباع..

فقد.. أشار هيردر إلى ما بين مسيح متي ومرقس ولوقا ومسيح يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينهما..^(٣)

(١). قصة الحضاره ول. ج ١١ ص ٢٠٢ .

(٢). المصدر السابق ج ١١ ص ٢٠٤ .

(٣). المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٠٣ .

أما هنريخ بولس فيعرض - وهو يلخص حياة المسيح - تفسيراً عقلياً للمعجزات، أي أنه آمن بوقوعها ولكنه عزاها إلى علل وقوى طبيعية.. ورفض دافد استروس، في كتابه عن حياة المسيح^(١).

محاولة بولس، التوفيق بين المعجزات والعلل الطبيعية وعزا ما في الأنجيل إلى الأساطير الخرافية وأن حقيقة المسيح يجب إعادة كتابتها لحذف تلك العناصر أيًا كانت صورها..

يقول ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: أما الأدلة على وجود المسيح فتبدأ بالرسائل المعزوة إلى القديس بولس.. ويستدرك فيقول: وبعض هذه الرسائل لا يُعرف كاتبها معرفه أكيدة، فمنها ما يؤرخ في عام ٦٤ ولكنها كتبت بعد ذلك التاريخ^(٢). هكذا يقول ول ديورانت في قصة الحضارة.

الأمر الذي يلاحظ معه المرء التلغيفات والإضافات في سيرة المسيح، فكيف برسائله ونصوصها الأصلية، المأخوذة من وحي السماء..

ونحن هنا لا نبحث عن الثغرات في رسالة المسيح وسيرته ووجوده، بقدر ما نؤكد زيف المصادر التي تناولت تلك السيرة أو الرسالة، وعدم معرفتها بالحقيقة لأن سيرته ورسالته عندنا لا لبس فيها ولا غموض - بعكس مصادرهم حتى الأنجيل وهي المعترف بها ضمن الكتاب المقدس، تناولوها بالتشكيك وأول دليل على هذا تعدد الأنجيل فيقول ول ديورانت: (أما الأنجيل فليس أمرها بهذه السهولة لأن الأربع أنجيل التي وصلت إلينا هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيراً..)^(٣).

(١). المصدر نفسه ج ١١ ص ٢٠٣.

(٢). انظر/قصة الحضارة /ول ديورانت ص ٢٠٦ .

(٣). انظر /المصدر نفسه ص ٢٠٧.

ويستطرد في القول: (١)

إن أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل ترجع للقرن الثالث أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي ١٢٠، ٦٠م ويستمر في القول: ثم تعرضت بعد كتابتها، مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل ولعلها تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها (٢) ..

من ذلك نرى أن الأناجيل هي صناعة بشرية لاتمت للوحي الإلهي بصلة. وهي لاتعدو أن تكون قصص من تاريخ المسيح أو شيء من مواعظه تصورها أو نقلها الأتباع بعد صياغتها بالزيادة والنقصان.. وحسب الترجمة المسكونية: فقد بدأ ذكر الروايات التي تنتمي إلى هذه الأناجيل (الأربعة) في نحو منتصف القرن الثاني.. وفي تعليقات هذه الترجمة نذكر (أنه لاتوجد على أي حال أي شهادة نقول بوجود مجموعه من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠) (٣)

...هذه واحدة من بعض الآراء حول الأناجيل مجتمعة وتاريخها وهناك

دعوى أخرى يقول بها أ. تريكو A.TtRICO..

حيث استقر العرف على استخدام الكلمة إنجيل في نحو عام ١٥٠م.. والترجمه المسكونيه ترجع إلى عام ١٧٠ تقريباً التاريخ الذي اكتسبت فيه الأناجيل الأربعة صفة الأدب الكنسي. (٤) ويقول الأب عبد الأحد داود : (٥).

إن رسم كلمة الأنجيل لم يحرر من قبل هؤلاء المبشرين الأربعة أنفسهم

(١). انظر/ المصدر نفسه ص ٢٠٧

(٢). انظر/ المصدر نفسه ص ٢٠٧

(٣). انظر/ القرآن والإنجيل والتوراه / مورييس بوكاي/ص ٧٥

(٤). انظر المصدر نفسه ص ٧٦

(٥). انظر /الميزان الطهطاوي/ ٣٩

ولكنه أضيف عليها من قبل الكنيسة مؤخراً أو من قبل مجمع نيقية (٣٢٥ م). أما بالنسبة للوحي المسيحي الحالي..

فيقول القديس جوستين والذي عاش في منتصف القرن الثاني يطلق على ما يسمى بالوحي المسيحي .(مذكرات الرسل).^(١)

أما عن صحة الأناجيل ومصادرها فيقول الناقد الجريء (فاستس):
(إن هذا العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول
الإسم إلى الحواريين ورفقاء الحوارين ليعتبر الناس.. وقد أذى بذلك المريرين
للمسيح إيذاءً بليغاً)....^(٢)
فقد ألف الكتب التي تمتلئ بالأغلاط والمتناقضات ..

مضمون الكتاب المقدس

أما الكتاب المقدس فقد إشتمل على العهدين القديم والجديد.. أي التوراه والإنجيل، ولكن نحن هنا بصدد العهد الجديد (الإنجيل).. ومضمونه لدى المسيحيين من ثلاثة عناصر أو أجزاء .

أولاً- الأناجيل الأربعة.. متي - ومرقص - ولوقا - ويوحنا.. وهذه الأناجيل، سرد للقصة التاريخية لحياة عيسى عليه السلام، ورسائله ومواعظه يضاف إلى ذلك رسالة تتضمن أعمال الرسل أي معلمي المسيحية وهذه من صنع لوقا.. التلميذ النشط لبولس لابل (الطبيب الحبيب) وهي قطعاً تخص أعمال بولس الرسول أكثر من غيره من الرسل الذين علموا المسيحية..

(١). انظر المصدر نفسه /٣٩

(٢). انظر المصدر نفسه /ص١٩٢

ثانياً - الأسفار التعليمية. وهذه بمثابة رسائل الرسل وهي تقريباً.. واحد وعشرون رسالة أكثرها من صنع بولس نفسه وهي على رأي ول. ديورانت في قصة الحضاره. (وفي وسعنا أن نعد الرسائل الموجهة إلى أهل غلاطيه، وكورنثوس، ورومية من رسائله بحق.. وأن نرجح الرسائل الموجهة إلى تسالونيك وفيلبي، وكولوسي، وفيلمون هي أيضاً له.. بل إن الرسائل الموجهة إلى أهل افسوس نفسها قد تكون أيضاً من رسائله.. ورغم أنه يؤكد أنها لبولس إلا أن كلامه تشوبه بعض الشكوك وهذا الأمر ينسحب على أغلب المصادر المسيحية..^(١)

أما أحمد شلبي في كتابه المسيحية ص ٢٠٥ فيفصل في هذا الأمر أكثر فيقول ما معناه: إن الرسائل التي تتصوي تحت الأسفار التعليمية هي واحد وعشرون رسالة وهي على الشكل الآتي ..

رسالتان لأهل تسالونيكى سنة ٥٤م.. ورسالتان لأهل كورنثس الأولى والثانية.. رسالته إلى أهل رومه ٥٦، ٥٧م.. ورساله إلى أهل إفسس، وفيلبي، وكولسي، سنة ٦١، ٦٢.. ورسالة أهل غلاطيه.. ورسالتان إلى تلميذه ثيموثاوس، ورسالة إلى تيطي وأخرى لفيلمون ورسالة إلى العبرانيين فتكون هذه أربعة عشر رسالة وهي من صنع بولس، والباقي هي على الشكل التالي.. ثلاثة رسائل من كتابة يوحنا.. ورسالتان من كتابة بطرس، ورسالة من كتابة يعقوب ورسالة من كتابة يهوذا..^(٢)

وهكذا نلاحظ أن الأغلبية لبولس، ولذا يكون الكتاب المقدس من صنع أو إحياء بولس ومريديه وأتباعه لامن وحي المسيح نفسه أو مما أوحى إليه، أما

(١). انظر قصة الحضاره ول. ديورانت ص ٢٦٢ جزء ١١

(٢). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢٠٥

الظروف التي أملت عليه كتابة تلك الرسائل الأربعة عشرة فهي كما يقول،
ول.ديورانت في قصة الحضارة كما يلي بالنص:

((ولم يكن يكتبها بقلمه، بل كان يملئها، وكثيراً ما يضيف إليها حاشية.. بخط
يده غير الأنيق ويبدوا أنه تركها دون أن يراجعها، تركها بكل مافيها من تكرار
وغموض وخطأ نحوي)).^(١)

ويقول ول. ديورانت في قصة الحضارة، عن إقرافاف صريحة لبولس،
يصفها المؤلف بالرياء الشبيه برياء رجال السياسة فيقول:

صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود.. وللذين تحت الناموس كأني تحت
الناموس لأربح الذين تحت الناموس.. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع أنني
لست بلا ناموس لأربح الذين بلا ناموس وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً
فيه)).^(٢)

أما أنا فأقول له نم قريز العين فأنت أهم شيء في الإنجيل.. ويستطرد ول.
ديورانت في كتابه فيقول عن تحولها كأخص خصائص اللاهوت المسيحي فيقول:

واحتفظت الجماعات بهذه الرسائل التي وجهت إليها ولم يكذ يختم القرن
الأول حتى كان الكثير منها معروفاً واسع الإنتشار.

ويلق الكاتب على ذلك التراث فيقول: لقد أنشأ بولس لاهوتاً لآنجد له إلا
أسانيد غامضه أشد الغموض في أقوال المسيح وبولس هذا هو الذي أذاع بين
الناس^(٣).

(١). انظر قصة الحضارة ول. ديورانت ص ٢٧١ / جزء ١١

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٢٧٣

(٣). انظر قصة الحضارة ول. ديورانت ص ٢٧٢

(المسيح ابن الله) و(حكمة الله). وأما الجزء الأخير من الكتاب المقدس فهو سفر الرؤيا ليوحنا كما يرى ذلك أحمد شلبي في كتابه المسيحية. ص ٢٠٦.

وهذه كانت بمثابة رؤيا رآها يوحنا المشكوك في أمره والذي اكتنف حياته الغموض فيقول و.ل. ديورانت في قصة الحضارة عن يوحنا هذا: (ولقد إنحدر إلينا مؤلفان كبيران مقرونان باسمه فضلاً عن رسائل ثلاث ويحاول النقاد أن يرجعوا سفر الرؤيا إلى عام ٦٩-٧٠ ويعزوه إلى يوحنا آخر هو يوحنا (اللاهوتي) الذي ذكره بيباس ١٣٥ م..

أما جستن مارتن فيعزو هذا السفر القوي إلى الرسول المحبوب.. لكن يوزبيوس ذكر من عهد بعيد.. يرجع إلى القرن الرابع، أن بعض العلماء يشكون في صحة نسبته إليه.^(١)

وفي مكان آخر يقول و.ل. ديورانت في قصة الحضارة:

((وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الإنجيل الرابع.. ذلك أن سفر الرؤيا، سفر يهودي وأن الإنجيل فلسفه يونانيه)) .. وبهذا ينكر على يوحنا في إنجيله الرابع أن يكون ذا سمة دينيه.. بل هو فلسفه يونانيه تمت كتابتها في أيام نضجه وشيخوخته ونزعته الميتافيزيقية^(٢). ويقول أحمد شلبي عن هذه الرؤيا:

(وكان الأجدر بالمسيحين أن يحذفوا هذه الرؤيا من الكتاب المقدس فهي للخرافات أقرب..

(١). المصدر نفسه ص ٢٧١

(٢). المصدر نفسه ص ٢٧٤

وهو يشير بذلك ما ورد في الإصحاح الثاني عشر من الرؤيا وتصويره المسيح بالخروف المذبوح، وقد قال الروائي الإنجليزي - h.lorance.. عن هذا التعبير بأنه تعبير ناب، جاف^(١).

(١) انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢٠٦

الأنجيل

إنجيل متي:

متي كما يذكر البعض كان من أحد الحواريين، ويقال أنه كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا.. ولكن هذا الإنجيل يكتنفه بعض الشكوك، يقول أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان حول الشكوك التي تحيط بإنجيل متي، وكل ما يقوله:

هو أن متي كتب إنجيله باللغة الآرامية، ولكن هذه النسخة مفقودة ولها ترجمة باليونانية ولم يعرف المترجم ولا سنة الترجمة.. وينتهي إلى هنا قول المؤلف.^(١)

وبعد ذلك يعتمدون على أنجيل متي أو غيره - إذا كانت النصوص الإلهية التي ذكرت في إنجيل المسيح الأصلي غير موجودة ولا حتى الكتب الأخرى القريبة من عهد المسيح - موجودة.

فكيف يمكن الإعتماد على كتب مترجمه لا أصل لها. ولا أصحاب، مجهولة الاسم والعمر والهوية، فهذه أنى لها معرفة أخبار الغيب حتى أن البروتستانت المتأخرين، شكوا في كون الفصلين الأولين منه لمتي...

ويقول موريس بوكاي: يتفق الجميع على الاعتقاد بأن متي قد كتب إنجيله إعتقاداً على مصادر مشتركة بينه وبين مرقس ولوقا ولكن روايته تختلف ويستطرد فيقول:

(ومع ذلك فقد استخدم متي بشكل واسع إنجيل مرقس ويضيف العبارة وهو الذي لم يكن أحد حوارى المسيح (١). كولمان).^(٢)

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي / ص ٢٠٩

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه، موريس بوكاي ص ٨١

وذكر أن متي يضع نصوصاً من تأليفه ووصف بأنه يتصرف بحرية خطيرة مع النصوص .^(١)

حتى أنه قيل ((قد لحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها))^(٢)

ويشير هنا الكاتب مثلاً من خلال الفقرة ((الإصحاح ٥١: ٢٧-٥٣ فيقول ليس لها مثل في الأناجيل الأخرى ويقول متي في الأحداث التي تواكب موت المسيح، ((وإذا حجاب الهيكل قد إنشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهر الكثيرون)) ويصف هذا المشهد الكاتب بعدم المعقولية..^(٣)

ويقول تريكو عن هذا الإنجيل ما يلي: ((تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهودياً لحماً وعظماً وروحاً)) وهذه الإعتبارات تضع إنجيل متي داخل الجماعة اليهودية المسيحية التي تحاول كما يقول - ا.كولمان:

((أن تقطع العلاقات التي كانت تربطها باليهودية مع الإحتفاظ في نفس الوقت بخط مستمر مع العهد القديم)).^(٤)

وفي الجوهري يمكن أن نستشف خصوصية دعوة المسيح عليه السلام لبني اسرائيل كما يذكر محمد الحاج^(٥):

وفي هذا الصدد لائنسى قصة المرأه الكنعانية التي طلبت من المسيح أن

(١). المصدر نفسه ص ٨٢

(٢). المصدر نفسه ص ٨٢

(٣). انظر القرآن والإنجيل والتوراه مورييس بوكاي ص ٨٢

(٤). انظر/ المصدر السابق / ص ٨٠

(٥). انظر الوجدانيه في النصرانيه ،محمد الحاج ص ١١٤

يشفي لها ابنتها فلم يجبها بكلمه، وعندما توسل إليه تلاميذه قال:

((ما أرسلت إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضال)) متي ١٥-٢٤.

أما و.ل ديورانت فيورد في كتابه عن إنجيل متي وكتابته مثل ذلك: وأنه كتب في الأصل باللغة العبرية أي الآرامية ولكنه لم يصل إلينا إلا باليونانية ويورد هذا القول عن إيرنيوس^(١).

ويرى النقاد أنه من تأليف أحد أتباع متي وليس من أقوال (متي العشار) أحد حوارى المسيح.. ويرى أن كثيراً من نبوءات العهد القديم قد تحققت على يد المسيح ويقال أنه أقدم الأنجيل..^(٢)

إنجيل مرقص

((يتفق النقادون - كما يرى و.ل ديورانت في كتابه قصة الحضارة، على أسبقية إنجيل مرقص في الزمن من سائر الأنجيل، وعلى تحديد تاريخه بين عامي ٦٥-٧٠ م.

ويقول ((ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحي قبل عام ١٥٠ م إلا في كتابات بيباس الذي كتب في عام ١٣٥ إذ يقول:

((إن يوحنا الأكبر وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها، قال إن مرقص ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس..^(٣)

ويضيف بيباس إلى هذا قوله ((وأعاد متي كتابة الكلمات بالعبرية)).. وتختلف الأنجيل حسب رؤى كاتبها لأن المصدر الحقيقي لها لم يعرف بعد..

(١). انظر قصة الحضارة و.ل. ديورانت ص ٢٠٨ جزء ١١

(٢). قصة الحضارة و.ل. ديورانت ص ٢٠٨

(٣). المصدر نفسه راجع من ص ٢٠٧

أما ويليم باركلي.. فيرى أن إنجيل مرقص هو خلاصة مشاهدات بطرس ومواعظه كما ذكر أحمد شلبي.^(١)

ولكن ويليم باركلي يرى أن انجيل مرقص كان مصدراً لمتي ولوقا..
وخلاصة ما جاء في انجيل مرقص - كما جاء في ((مروج الأخبار في تراجم الأبرار)) أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح..

وتذكر المصادر المختلفة، أنه صحب بولس، في رحلته التبشيرية الأولى ولكنهما اختلفا وافترقا في برجه.. هذا ولم يذكر أحد عن تاريخ انجيله إلا أنه يقال كتبه باللغة اليونانية..^(٢)

الحق، لا توجد أدلة ثابتة، على مانقول فهذا يناقض هذا.. قالوا: متي استقى من مرقص وآخر قال مرقس استقى من متي وبطرس.. والذي يهمننا من هذا هو اختلاف المصادر في حقيقة هذا الإنجيل، تاريخاً ولغةً، ومصدراً.. فكيف بعد ذلك يمكن الإعتماد عليه كأساس لعقيدة يدين بها ملايين البشر، فالناس لاجابة لهم عند تشذيب أرواحهم وتهذيبها لما هو عاجز عن ولوج عالم الروحانيات والغيبيات.. فهذا اختصاص رباني أذن به لا بل أوحى به مباشرة لرسل مخلصين لاتؤخذ إلا منهم الحقيقة.. أي هو رسالة السماء إلى أهل الأرض لايمكن أن يأتي بطلب من الإنسان فهي رغبة إلهية..

الهدف منها هو هداية البشر إلى الصراط المستقيم أما ما جاء في هذا الإنجيل فقد جاء بطلب من أهالي روما (سنة ٦٣٠-٦٥٠) باللغة اليونانية ومن خلال تعهد انساني، أي بإشراف أستاذه بطرس^(٣). ويتابع صاحب كتاب الميزان: أن

(١). انظر المسيحيه، أحمد شلبي ص ٢١٢

(٢). انظر المسيحيه أحمد شلبي ص ٢١٢

(٣). انظر الميزان للطهطاوي ص ١١٢

بعض المؤرخين يقول هو من تحرير بطرس وحتى هذا الإشراف الإنساني والرغبة الإنسانية كانت تنكر ألوهية المسيح إلا أنه أضيفت رغبة ثالثة أيضاً إنسانية..

وهي عبارة.. (المسيح ابن الله).. وهذا يؤكد أنه يقول به جورج بوست الأمريكي: في تفسير الكتاب المقدس - بأن ما جاء في الإصحاح ١٦ من عدد ٩-٢٠ لم يكن في النسخ الأصلية القديمة بل أضيفت إليه.^(١) وفوق كل ذلك - كما يقول موريس بوكاي ص ٨٥ إن إنجيل مرقس يتناقض مع إنجيلي متي ولوقا بخصوص طلب الجيل آية من المسيح وهي آية يونس عليه السلام.^(٢)

وماذا أقول بعد هذا اللغظ الذي يدور حول هذا الإنجيل وصاحبه الذي قيل عنه أنه لا يعتبر من تلاميذ المسيح أصلاً-١. كولمان ص ٨٤.^(٣)

وحتى إذا كان أحدهم من الحواريين أو من تلاميذ المسيح فإن الأناجيل المنسوبة لأحدهم لا تسلم من التحريف.. أو الإضافات الأخرى ممن جاء من بعدهم.. ويضع الكتاب المحدثون أيديهم على إضافات خاصة بخاتمة هذا الإنجيل خاصة ضمن الإصحاح ١٦- الآيات من ٩-٢٠ وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح (بوكاي ص ٨٦)..

ويقول ١. كولمان.. في نفس السياق ((أضاف مخطوطات يونانية أقرب عهداً وبعض نصوص أخرى إلى هذا الموضع.. خاتمة ظهور المسيح لا تنسب إلى مرقس وإنما هي مستخرجة من أناجيل أخرى))^(٤).

(١). انظر الميزان للطهطاوي ص ١١٢

(٢). انظر القرآن التوراه الإنجيل موريس بوكاي ص ٨٥

(٣). المصدر نفسه ص ٨٤

(٤). المصدر نفسه ص ٨٦

ويعلق الأب كانينجر على هذه الخاتمة بقوله ((لابد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الإستقبال الرسمي (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته ولا متي، ولا لوقا ولا يوحنا، بالأحرى قد عرفوا هذا الجزء المفقود^(١).

إنجيل لوقا

وهذا الإنجيل.. يكتنفه بعض الغموض أيضاً فمن ناحية يعتبر إنجيل لوقا عمل أدبي بلغة يونانية كلاسيكية راقية تخلو من حوش الكلام.. ومن ناحية أخرى كون لوقا نفسه أديب وثني آمن بالمسيحية فلا بد أن هذه الصفة، تلقي بظلالها أو بفنها الأدبي أثراً لا يستهان به على هذا الإنجيل.. هذا غير الصفة - صفته الأولى الوثنية فهذه لا تدع الإنجيل الأصلي على ما هو عليه، فكما يشير أ. كولمان: فإن لوقا يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس^(٢).

ونحن نعلم أن المسيح لم يرسل إلا إلى بني إسرائيل كما تقول النصوص، وفي الواقع نلمس في أغلب الأحيان إضافات وتغييرات إنسانية على رسالة المسيح، لا ينبغي أن تكون وهي رسالة موحى بها من السماء وهذا أشار إليه كثير من العلماء الغربيين والباحثين منهم كما أشار إليه ولفت الإنتباه إليه موريس بوكاي ص ٨٧..

وهو يعلق على إضافات وتغييرات لوقا مقارنة مع غيره، مما أجبره على القول: أنهم يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية ويعلق بالقول: إن المقارنة بين المنحى العام لإنجيل متي وإنجيل لوقا

(١). المصدر السابق/ص ٨٧

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص ٨٧

يأتي ببرهان قاطع في هذا الشأن^(١).

ويلاحظ ا. كولمان.. في كتابه العهد الجديد ص ١٨ روايات من إنجيل لوقا لاتوجد في الأنجيل الأخرى^(٢).

وقيل إن رسالة المسيح عليه السلام تختلف في نقاط كثيرة عنها في الأنجيل الأخرى.. والأب كانينجسر.. يرى فيه ميلاً عظيماً للأدب، بل يقول: ((إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي)).. أما الأب روجي في كتابه (مقدمة الإنجيل) ص ٧٥ يلاحظ أن الكلمات التي يسوق بها إنجيل لوقا (الإصحاح، ٢٢-١٩ - ٢٤) سر القربان المقدس تختلف عنها في إنجيل متي (الإصحاح ٢٦-٢٦-٢٩)..
ويقول مارغوسطنوس (إنني لم أكن أو من بإنجيل لوقا لو لم تسلمني إياه الكنيسة)^(٣).

أما ما يقول أحمد شلبي في كتابه المسيحية هو: أن لوقا لم يكن من الحواريين ولا من تلاميذهم، بل هو تلميذ بولس. وهذا أيضاً ما ورد في تفسير المنار لما نقل عن صاحب الذخيرة من أن (لوقا كان تلميذاً ومعاوناً لبولس) وأورد بالنص:

((قد أغفل متي ومرقس بعض حوادث وأمر تتعلق بسيرة المسيح، وقام بعض الكتبة واختلقوا ترجمة مموهة ليسوع المسيح، وكثيراً ما فاتهم فيها الرواية والتدقيق فبعث ذلك بلوقا على وضع إنجيله، ضناً بالحق فكتبه باليونانية، وجاء كلامه أصح.

(١). انظر القرآن والإنجيل والتوراه مورييس بوكاي ص ٨٨

(٢). انظر القرآن والإنجيل والتوراه مورييس بوكاي ص / ٨٨

(٣). انظر /الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ١١٣

وأفصح وأشد إنسجاماً، من كلام باقي مؤلفي العهد الجديد، وذهب كثير من المحققين إلى أنه كتب إنجيله في السنة ٥٣ للمسيح، بل سنة ٥١)).^(١)

وتبين أنه كان يحمل إنجيلي متي مرقس وأنه اقتبس منهما ما وافقهما فيه..

وحول الشكوك في إنجيل لوقا نورد قول الدكتور بوست في قاموسه أن البعض يظنون أن لوقا من مواليد أنطاكية وأن بولس هو مؤلف الإنجيل وما لوقا إلا كاتبه ويعلق أحدهم بالقول:

((ولعل الذين قالوا إن بولس هو الذي كتب هذا الإنجيل هم المصيبون لمشابهة أسلوبه لأسلوب رسائله باعترا فهم.. وهذا القول ليس غريباً فيبدو..

أن علاقة وطيدة كانت تربط لوقا ببولس، وهو الذي قال عنه (إنه الطبيب الحبيب) ويذكر أحمد شلبي في كتابه (المسيحية) أن لوقا آمن برسالة بولس وأخلص لها ولم يعرف من المسيحية سواها.^(٢)

ومثل ذلك ورد في قصة الحضارة: عن إنجيل لوقا..

((أنه، كان صديقاً لبولس، ومؤلف سفر أعمال الرسل وهو يقتبس كثيراً من كتابات مرقس، كما يقتبس منها متي، وإنك لتجد في إنجيل متي ستمائة آية من الستمائة والإحدى والستين التي يشتمل عليها إنجيل مرقس.. وتجد ثلاثمائة منها وخمسين في إنجيل لوقا.. تكاد أن تكون هي بنصها..

وفي إنجيل متي كثير من الفقرات التي توجد في لوقا ولا توجد في إنجيل مرقس وتكاد تكون هي بنصها ويبدو أن لوقا أخذ هذه عن متي.. ويقول أيضاً: أو أن لوقا ومتي أخذاهما عن أصل مشترك لم نعثر عليه بعد)).^(٣)

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢١٥

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٢١٥

(٣). انظر قصة الحضارة و.ل. ديورانت ص ٢٠٩

إنجيل يوحنا

يقول عنه و.ل ديورانت في كتابه قصة الحضارة

((إن هذا الإنجيل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية، بوصفه كلمة الله وخالق العالم، ومنقذ البشرية وهو يناقض الأنجيل الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة..

التي يرسمها للمسيح ويرى أن الخلاص لا يكون بالإيمان بل بالمعرفة الأمر الذي يشكك فيه البعض من أنه منسوب للرسول يوحنا.^(١) ويستطرد مؤلف الكتاب في قصة الحضارة فيقول:

وملاك القول أن ثمة تناقضاً كبيراً بين بعض الأنجيل والبعض الآخر.. والتناقض في الأنجيل ظاهر وجلي، مما يدعو للشك والريبة في مصادرها، الأساسية والفرعية وحتى إنجيل يوحنا هذا جاء تأليفه باليونانية بين سنة ٩٨، ٨٩ م.. ثم ترجم إلى اللاتينية ومنها إلى لغات العالم المختلفة.^(٢)

ووسط هذا الانتقال والتحول من أصل إلى فرع - إلى آخر لم يسلم أن يأت أحدهم فيقول (استالن):

((إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة الإسكندرية صنفه باللغة اليونانية ولقد كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تتكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا وهذا الكلام مقتبس عن دائرة المعارف البريطانية (٢٦٣).^(٣)

(١). المصدر نفسه ص ٢٠٩

(٢). المصدر نفسه ص ٢١٠

(٣). انظر / الميزان في مقارنة الأديان/ ص ١١٤ / محمد الطهطاوي

إزاء ذلك لايسعنا في هذا الصدد إلا أن نسلم بالحقيقة التي ترد من مصادرهم.. فإن كان من زيادة أو تحريف فيما يقولون.. فهم بالحري - أو الأجدر بهم - أن يتثبتوا من النصوص الواردة في كتبهم وهذه الإضافات أو الإضطرابات مبنوثة في كل زاوية وناحية..

وهي ليست بالنادرة بحيث يمكن تجاوزها فالكتب مملوءة بمثل ذلك فهذا موريس بوكاي يقول:

عن الأب روجي قوله عن هذا الإنجيل (إنه عالم آخر).. أو هو مختلف عن الاناجيل الأخرى نعم ففي إنجيل يوحنا روايات غير واردة في الأناجيل الأخرى والترجمة المسكونية تشير إليها^(١)

ويعتقد ا. كولمان.. أن بعض الإضافات واضحة في هذا الإنجيل مثل الإصحاح ٢١ فيقول أو يعتقد:

أنه من عمل أحد التلاميذ وقد أضاف بعض اللمسات إلى متن الإنجيل.. أي كما هو غيره، طالته يد الرغبة الإنسانية بشيء من التصرف، استجابةً لبعض الظروف أو الإحتياجات الخاصة، فيقول موريس بوكاي:

وإذا نظر إليها القارئ على أنها كتابات ظرفية أو خصامية، تبرز علامة واضحة أنها من صنع الإنسان.^(٢)

ويرى صاحب تفسير المنار.. أن يوحنا هذا هو أيضاً من تلاميذ بولس وقد جاء -إنجيله باليونانية- ليؤكد ألوهية المسيح ..

(١). انظر القرآن والإنجيل والتوراه موريس بوكاي ص ٢٨٣

(٢). المصدر نفسه ص ٧٩

وهذا أيضاً، أكد عليه أحمد شلبي في كتابه المسيحية، ولكن يضيف هذا-
الأخير، إلى أن دائرة المعارف البريطانية..

تؤكد أنه ليس الحوار يوحنا ابن زبدي الذي أحبه المسيح.. وكذا قالت
دائرة المعارف الفرنسية شيئاً من هذا.. وننقل الآن ما أورده أحمد شلبي عن دائرة
المعارف البريطانية، لعله يكون الجواب الشافي على هذه القضية ((أما إنجيل
يوحنا، فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه به مضادة اثنتين من
الحواريين أحدهما للآخر.. وهما القديسان يوحنا ومتي..

وقد ادعى، هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه
المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها.. وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا
الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً على أن صاحبه غير يوحنا يقيناً.^(١)

ونكتفي بهذا القدر من النص الذي أورده دائرة المعارف البريطانية.

والحق، بعد هذا. لا يمكن القول بأحقية هذه الكتب أو هذه الأنجيل، بتأسيس
مبادئ المسيح الأصلية الواضحة والجلية في التوحيد والإيمان والعمل الصالح ..
وهؤلاء، ومثلهم ينسجون من خيالاتهم صوراً وثنية لصورة المسيح الحقيقية
لاتخدم المبادئ، والقيم الدينية التي جاءت الرسائل السماوية، من أجل بثها بين
المظلومين تبشرهم بالخلاص والإنعتاق من الظلم والعبودية والشرك..

إنجيل برنابا

وقبل أن ننتهي من الحديث عن الأنجيل.. وبعد أن سردنا صفة الأنجيل
الأربعة المعتمدة لدى المسيحيين - لابد أن نرى، ماهية وصفة إنجيل برنابا.. وما
قصته مع المسيحيين، حتى أخرج من الساحة العقائدية..

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢١٤

وما هي الأمور العقديّة التي التزم بها حتى نبذ، وترك جانباً لعلنا نصل إلى الحلقة المفقودة في هذه العقيدة التي شوّهت تشويهاً لا تخدم الهدف الذي جاءت من أجله، وهو التوحيد بالله والزهد بالمادة وترك الشهوات والموبقات من ممارسة الزنا والربا وشرب الخمر.. الخ ورد اسم برنابا، في رسالة أعمال الرسل (ويوسف الذي دعي من الرسل برنابا..)^(١).

وفي انجيل برنابا يأتي اسمه، بين الحواريين الإثني عشر قد جاء في انجيل برنابا ما نصه: (فلما رأى يسوع أن الجمهور الذي عاد إلى نفسه ليسلك في شريعة الله، جمهور غفير صعد الجبل، ومكث كل الليلة بالصلاة، فلما طلع النهار نزل من الجبل وانتخب اثني عشر اسماً هم رسلاً - منهم يهوذا الذي صلب وأسمأؤهم هي:

اندرأوس، وأخوه بطرس الصياد وبرنابا الذي كتب هذا مع متي العشار الذي كان يجلس للجباية ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي وتداوس ويهوذا وبرتولوماوس وفيلبس ويعقوب ويهوذا الإسخريوطي.. الخائن)، ورسالة الأعمال، تذكر كثيراً من أخبار برنابا، ولا تذكر سيرته إلا مقرونة بالخير والصلاح وقيل أنه من الرسل السبعين.. ((وأنه أرسل إلى أنطاكية ولما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب)).^(٢)

ويرافق برنابا بولس، في رحلته التبشيرية إلى أنطاكية وهو الذي عرفه على جميع التلاميذ، وكان الجميع يخافونه، فأخذ برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم، كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع)).^(٣)

(١). انظر أعمال الرسل ٤-٦

(٢). أعمال الرسل ٤-٢٦

(٣). انظر أعمال الرسل ٩-٢٦، ٢٧

وقيل أن خلافاً وقع بين برنابا وبولس وأن سبب الخلاف - كما تذكر بعض المصادر - هو مرقص صاحب الإنجيل.. وتذكر ذلك أيضاً رسالة الأعمال، (١٥-٣٦،٤٠).

وأيضاً ورد في أسفار العهد الجديد إلا أن الخلاف الجوهرى ليس حول مرقص المذكور أنفاً وإنما في نية بولس الكامنة في نفسه وهو القول أن المسيح ابن الله.. وهناك من يدلنا على الطريق فما هو (بطرس فرماج) في عيون الأخبار في تراجم الأبرار يقول: أن مرقصاً كان ينكر الألوهية بعكس بولس وهذا أمر خطير في نظر برنابا.. لأنه يقوّض تعاليم المسيح ويأتي على قواعدها الأساسية.^(١)

وربما لهذه الأسباب، اختفى هذا الإنجيل ولم يظهر إلا في القرن السادس عشر الميلادي.. إذ عثر راهب ايطالي يسمى (فرامونيو) في مكتبة البابا سكتس الخامس على رسائل للقديس إيريناوس الذي كان تلميذاً للقديس بوليكراب والأخير كان تلميذاً للقديس يوحنا الذي كان حوارياً وتلميذاً للمسيح عليه السلام، ومع الرسائل رسالة تتدد بالقديس بولس.. بعد أن تأثر بهذا الإنجيل (إنجيل برنابا) فأخذ الراهب شديد الرغبة في الإطلاع على إنجيل برنابا، حتى عثر عليه في مكتبة البابا الخاصة.^(٢)

وفي إنجيل برنابا أخبار صحيحة وهامة عن رسالة المسيح.. إن لم يكن هو إنجيل المسيح الأول.^(٣) وهكذا نرى أن برنابا هو من الحواريين، وإن لم يكن منهم فهو من الرسل السبعين كما يذكر أحمد شلبي في كتابه المسيحية.^(٤)

(١). انظر النصرانيه محمد الحاج ص ٢٨٥

(٢). انظر الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ٢٤٩

(٣). انظر المصدر نفسه ص ٢٤٨

(٤). المسيحية أحمد شلبي ص ٢٢٤

وقد كتب برنابا في إنجيله الأسباب التي دعت له لتأليف إنجيله ولنسمع ما يقول: ((أيها الأعزاء، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح، برحمة عظيمه للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان، ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين (المسيح ابن الله).

ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس، الذي لا أنكلم عنه إلا مع الأسى، وهو الذي لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته.. أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلحكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد.. مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً)).. وفي إنجيله أنكر برنابا ألوهية المسيح، فيقول قول عيسى عليه السلام وهو ينكر ألوهيته.

((إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قال الناس عني من أنني أعظم من بشر.. لأنني بشر مولود من امرأة وعرضه لحكم الله أعيش كسائر البشر، وعرضه للشقاء العام)) (الإصحاح ٩٤: ١-٢).

ويقول: الحق أقول لكم متكلماً من القلب، أنني أقشعر لأن العالم سيدعوني إليها).

نلاحظ، من الذي جاء في إنجيل برنابا.. أن برنابا صاحب الإنجيل يؤكد على بشرية عيسى المسيح، وينكر ألوهيته، وربما هذا هو السبب، في ابتعاد إنجيله عن الساحة العقائدية - المسيحية. لأن الفكرة المهيمنة على المسيحيين، هي ألوهية المسيح، وأنه ابن الله..

ورأيه في مسألة الصلب :

فإنه يرى أن الذي صلب هو شخص غير المسيح وهذا ما يتوافق مع القرآن ومن ثم يورد، قول عيسى على الشكل الآتي :

((اعلم يا برنابا أنه سيبيعي أحد تلاميذي بثلاثين قطعة نقود، وإنني على يقين من أن من يبيعي يُقتل باسمي، لأن الله سيغيّر منظر الخائن، حتى يظنه كل أحد أنه إياي)).^(١)

وهذا تقريباً مشابه لقوله تعالى الذي جاء في القرآن ((وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)).^(٢)

ويستمر في وصف المشهد الأخير فيقول:

((لما دنا الجنود مع يهوذا سمع يسوع دنو، جمّ غفير فاستيقظ وكان الحواريون الأحد عشر نياماً ثم رفع الله المسيح..

ودخل يهوذا إلى الغرفة التي صعد منها يسوع فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، فصار شبيهاً بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع.. ودخل الجنود، فأخذوا يهوذا وأوثقوه ظانين أنه يسوع)).^(٣)

هذه الحقائق، التي يوردها برنابا، منها ما هو جدير بالاعتبار الإسلامي لأنها تنكر ألوهية المسيح، وصلبه وأقتله ولربما سبباً مباشراً لعزل هذا الإنجيل واعتباره من الكتب المحظورة مطالعتها.. كيف لا وهي تضع المسيح - في وضع عادي..

نزع عنه لباس الربوبية والتقديس.. وكأنني بهم قد فقدوا أغلى مناصبهم في الشفاعة والغفران.. وكان الكهنة والرهبان هم أول الخاسرين من ذلك لأنه ينزع الغطاء الديني عن سلطتهم وصولجانهم بها هو التاريخ يقول: ((إن البابا جلاسيوس الأول قد أصدر أمراً عام ٤٩٢ بتحديد الكتب المحظورة مطالعتها فكان منها إنجيل برنابا..^(٤)

(١). انظر الإصحاح ١١٢: ٢٣-١٥

(٢). الآية ١٥٧ النساء

(٣). انظر الإصحاحات ٢١٥-٢١٧

(٤). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٢٥٢

ولم تكن هذه الحادثة الأولى بشأن انجيل برنابا أو كتابه فهناك ذكر لبرنابا وخلافه مع بولس حين أرسلوا إلى أنطاكية، للتبشير بالديانة المسيحية..

فكان الخلاف بينهما قد وقع في تلك الرحلة، علماً أن بولس كان من ألد أعداء المسيحية. ويبدو، أن بولس هذا كان وراء أشياء كثيرة في العقيدة المسيحية.

وإلا لما كان هذا الإتفاق بين اقتراب انجيل برنابا من نظرة المسلمين والإسلام، للمسيحية واختلافه مع بولس هذا.. وكأني أريد أن أقول: أن تصورات برنابا ومقولاته في المسيحية لاتروق لبولس الذي كان يوماً ما عدواً للمسيحية.. وكأني به وراء كل تغيير دخل المسيحية..

الفصل الثالث

الانحرافات والصراعات الدينية - اسبابها

والحق، إن تصورات الصلب والألوهية، والتثليث - هي المسائل الطارئة على العقيدة المسيحية، وهي التي تمكّن الأشخاص من التناول على العقيدة ذاتها ومن ثم استغلال البشر.. فذلك يسهّل نقل الألوهية من المسيح إلى من يخلف المسيح، من بني البشر..

أولاً - مسألة الصلب: فكرة الصلب جاءت من:

((أن الله عادل ورحيم، ولكونه كذلك فلا بد أن يعاقب آدم عليه السلام ويعاقب ذرية آدم، على خطيئة أبيهم التي طرد بسببها من الجنة - وأما لأنه رحيم فإنه يغفر سيئات البشر.. ولكي يجمع بين عدله ورحمته، لا بد أن يكون المسيح، وسيطاً لذلك الأمر، فهو بمثابة ابن الله..

وكان الله في ابنه، وقد أرسله على شكل إنسان ليعيش مع البشر فيأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون.. ومن ثم يصلب لا لذنوب ارتكبه، ولكن ليكفر عن خطيئة أبيه وهو الإنسان.. وقد ورد في كتب العهد الجديد .

((وان ابن الإنسان جاء ليخلص ما قد هلك، فبمحبتة ورحمته - قد صنع طريقاً للخلاص. لهذا كان المسيح هو الذي يكفر عن خطايا العالم، وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى، وبين عدله ورحمته، إذ أن مقتضى العدل، أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم..

ولكن باقتران العدل والرحمة، وبتوسط الابن الوحيد، وقبله للتكفير عن خطايا الخلق قَرَّبَ الناس من الرب بعد الابتعاد^(١).

من يصدق أن ذلك من أساسات المسيحية الأولى أو هي نصوص إلهية وهي توحى: وكان الله ((دبر طريقه للفداء وهي الصلب لابن الله نيابة عن البشر)).. ليس الأجدر بأن كل نفس بما كسبت رهينه!! وفي الواقع، بقيت مسألة الصلب موضع اختلاف كبير بين النصارى^(٢). حتى نزول القرآن، إذ حسم هذه القضية بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

ويذكر خواجه أفندي في كتابه ينابيع المسيحية مايلي:

لم تكن المسيحية مصدر الصليب، ولم تبتدئ معرفة الصليب من تاريخ الصلب المسيحي. (وكلمنت) لم يشر إليه في قائمته الخاصة برموز وقوانين المسيحية^(٣).

ويقول أحد علماء النصرانية، وهو المسيو ادوارد سيوس، في كتابه عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية قال: إن القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه، ويتابع هذا.. أن مقالته القرآن موجود عند طوائف نصرانية^(٤).

ويذكر الطهطاوي في كتابه مجموعة من الطوائف.. نذكر ذلك منهم: السيرفنيون، فإنهم قرروا أن أحد الحواريين، صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل

(١). انظر انجيل يوحنا ٣-١٦ ورسالة رومية ٢: ٢٣

(٢). انظر النصرانية من التوحيد الى التثليث ص ٣٠٢ محمد الحاج

(٣). انظر ينابيع المسيحية خواجه أفندي ص ١٤١

(٤). انظر الميزان في مقارنة الأديان الطهطاوي ص ١٣٨

من كتب الحواريين.^(١)

وانجيل برنابا يُفصل كثيراً في هذا الأمر ويذكر أن الذي صلب، هو يهوذا الإسخريوطي، وهو ينكر فكرة الصلب للمسيح من أساسها، وها هو يشهد أحد العلماء الألمان بأن ذلك لم يحدث وإنما هو من مبتكرات ومخترعات بولس.^(٢)

وهي كما تظهر من نسج الخيال الإنساني، لكنها اعتقاد ذهني يدحض اعتقاد ذهني آخر، وهويعني ضعفه أمام عظمة الله.. فلا يعقل أن يكون ضعيفاً ثم يكون ابن الله أو هو الله فهذه تدحض تلك والعكس صحيح..

ثانياً - مسألة التثليث

أما عقيدة التثليث، فكانت من وحي بولس وأفكاره وهو الذي نقلها إلى المسيحية من العهود الرومانية واليونانية والمصرية العريقة في مسألة التثليث والفداء..

يقول يوحنا في رسالته الأولى ٥،٧: ((إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والواحد في ثلاثة..

يقول الدكتور يوسف بوست عن عقيدة التثليث كما ورد في كتابه (قاموس الكتاب المقدس).^(٣)

((إن طبيعة الله في ثلاثة أقانيم.. فالله هو الأب وإليه ينتمي الخلق بواسطة الابن.. الله هو الابن، وإلى الابن خولت مهمة الفداء.. الله هو الروح القدس، وبالروح القدس يصير التطهير.. والأقانيم الثلاثة - تتقاسم الأعمال الإلهية. ويقول

(١). انظر المصدر نفسه ص ١٣٩

(٢). المصدر نفسه ص ١٤٠

(٣). يمكن مراجعة المسيحية أحمد شلبي ص ١٣٩

محمد رشيد في تفسير المنار^(١):

إن تعاليم بولس هي أقرب الى عقائد الرومانيين الوثنية ،لذا كانوا هم الذين رجحوها ورفضوا ما عداها وكذلك كانوا أصحاب السلطه الأولى في النصرانية، أما قاموس الكتاب المقدس فيما يذكره عن التتليث فهو: ((اعترف كبار العلماء اللاهوت أنها كلمه لم ترد في الكتاب المقدس ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها (ترتليان) في القرن الثاني للميلاد ،وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقيه أقر التتليث سنة ٣٢٥ م)).

هذا الكلام مذكور في قاموس الكتاب المقدس ينقله محمد رفعت الطهطاوي في كتابه الميزان في مقارنة الأديان ص ١٣٧ * .

ويتابع القول: أن التتليث استقر بعد ذلك عند الكنيسه المسيحيه على يد ((أوغسطينوس) في القرن الخامس الميلادي*^(٢)).

وفي الواقع عقيدة الثالوث غير مفهومه لدى الكثيرين إلا أن الإستاذ محمد مرجان، كان نصرانياً فأسلم -جمع بعض تفسيرات دعاء التتليث فقال:

((يرى فلاسفة المسيحيه أن الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة عناصر أو أجزاء. الذات والنطق والحياء.. فالله موجود بذاته.. ناطق بكلمته، حي بروحه، وكل خاصيه من هذه الخواص تعطيه وصفاً معيناً فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الأب ..

واذا نطق فهو الإبن وإذا ظهر كحياء فهو الروح القدس . * من كتاب الله واحد أم ثالوث*^(٣).

(١). تفسير المنار/ جزء ١٠ / ص ٣٣٠ .

(٢). انظر/ الميزان للطهطاوي ص ١٣٧ .

(٣). انظر النصرانيه من التوحيد الى التتليث ص ٢١٠/ محمد الحاج.

وهناك تخيلات وتفسيرات كثيرة لعقيدة الثالوث وكلها تقريباً تعتمد على ثلاثة أقانيم- وكلها بمثابة اشراك مع الله.. والله لاشريك له في الملك ولذا يقول القرآن في آياته: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ويمكن القول أن الإنسان لقصوره العقلي دائماً يلجأ إلى تصوير الأمور على صورته هو، حتى يفهم ما أشكل عليه لذا كان لابد من العودة إلى القرآن في هذه الأمور.. جاء في كتاب ينابيع المسيحية (١)•

(أنه لا يمكن أن نعزو وننسب الألوهية للمسيح للأسباب الآتية نذكرها بتصرف:

١- أن المسيح لم يدع الألوهية أبداً كما ورد في الكتب المقدسة - كما رأينا..
٢- يتضح من سيرته أنه كان رجلاً له جسم ونفس وعقل وهذه قطعاً لها متطلبات الأمر الذي ترنو إلى غيرها أي تحتاج غيرها بعكس الألوهية التي هي في غنى عن الغير ..

٣- لا تحتاج الوهية المسيح إلى ولاده عذريه وأن ولادته من غير أب لاتعني أنه يتصف بأية صفة من صفات الألوهية، هذه نقاط مأخوذة من عدة نقاط يوردها المؤلف على امتناع كينونة المسيح إلهاً.. وفي الصفحة ٨٠ يقول القس الموقر هـ.د. ا. ماجور رئيس معبد ريبون باكسفورد: ((يجب أن نعلم علم اليقين أن عيسى لم يقل في الأنجيل إنه ابن الله بحاله طبيعياً أو بحاله نفسه.. وإنما قال ذلك بحاله مجازيه، أي بحاله التي يكون بها أبناء البشر هم أبناء الله)).

إلا أن النصارى أو المسيحيين وهو ماغلب على تسميتهم يؤمنون في عقيدتهم التي مارسوها عن أسلافهم بأن المسيح عليه السلام:

(١) انظر ينابيع المسيحية خواجه أفندي ص ٧٩

((هو صورة الله في الأرض أي أن فيه طبيعته لاهوتيه وما دام هو كذلك فهو الله متجسداً))*(١)

وهناك فرقة تقول : ((المسيح هو الله، وهو ابن الله وهو روح القدس)) ويذكر محمد الحاج - رأيين ينتشران عند النصارى اليوم: (٢)

رأي تتزعمه الكنيسة الغربية الكاثوليكية، ملخصه أن الآلهة الثلاثة متميزون ومنفصلون، تسمى بالأقنيم الثلاثة: (الأب والابن والروح القدس) ويكمل القول: أن المذهب البروتستنتي موافق تماماً لذلك* ورأي آخر: تتزعمه الكنيسة الأرثوذكسية - يقر بهذه الأقنيم إلا أنه يقول: في اتحادها في طبيعة واحدة.. ولقد ظلم المسيح كثيراً فهو يقول: إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل مآل الناس عني من أنني أعظم من بشر لأنني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام* الإصحاح ١: ٩٤-٢.

ثالثاً- الوهية المسيح

المسيح عليه السلام.. في نظر المسلمين، كما في نظر المسيحيين، جاء بمعجزات أهلكته في نظر المسلمين ليكون رسولاً إلى بني إسرائيل.. أما في نظر المسيحيين فإن تلك المعجزات أهلكته لأن يكون إلهاً لا بشراً رسولاً، يقول برنابا: إن ادعاء الوهية المسيح لم تكن حديثة العهد بل حتى في زمنه حدث مثل ذلك. وهذا القول

يؤكد الآيات القرآنية التي تخاطب عيسى بالإحياء فيقول تعالى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ

اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

(١). انظر الميزان للطهطاوي/ص ٢١٠

(٢). محمد الحاج/ النصارى ص ٢٠٤

فيقول عيسى عليه السلام بالنص القرآني: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ

مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] *.

فيؤكد فيقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ

وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا﴾ [المائدة: ١١٧].

وبقى المسلمون يؤكدون على بشرية الرسول، كيف لا وهو مكتوب في كتابهم المقدس - القرآن - ولم يحرف هذا أو يغير رغم مرور السنين والأعوام، وتكالب الأمم على هذه الأمة، وتراثها الحضاري ..

أما بينهم، فلا انجيل المسيح -الأول- باق يرشدهم إلى الصواب.. ولا الأنجيل الموجودة هي متفقة على ذلك المبدأ.. وما بقي يؤكد على ألوهية المسيح.. كما رأينا..

ولنتابع الآن رأي برنابا في تفسير المسيحيين لألوهية المسيح.. حيث يورد قصه على إحياء المسيح للموتى، وممارسة بعض المعجزات الأمر الذي زرع في أذهان الناس والوثنيين منهم بذرة الألوهية.. ومن ثم ترعرعت ونمت في ظل الوثنية المادية -وغياب الإنجيل الصحيح.. يقول برنابا:

((نزل يسوع في السنة الثانية من وظيفته النبوية من أورشليم إلى تايين، فلما اقترب من باب المدينة - كان أهل المدينة يحملون إلى القبر ابناً وحيداً لأمه الأرمله، وكان كل أحد ينوح عليه..

فلما وصل يسوع، علم الناس أن الذي جاء إنما هو.. يسوع نبي الجليل.. فلذلك تقدموا وتضرعوا إليه لأجل الميت، طالبين أن يقيمه لأنه نبي.. فتقدم المسيح إلى أم الميت وقال لها بشفقه لا تبكي أيتها المرأة ثم أخذ يد الميت، وقال: أقول أيها

الشباب باسم الله قم صحيحاً فانتعش الغلام، ولما كانت الوثنية مسيطرة في عهد الرومان وكان يُعبد الأشخاص، الذين يقدمون منافع للناس فإن المسيح لهذا الأمر السالف الذكر أُعتبر، أيضاً إلهاً..

ويقول برنابا في الإصحاح التالي*.

((وكانت عادة الرومان أن يدعوا كل من فعل شيئاً جديداً فيه نفع للشعب إلهاً وعبدوه، فلما كان بعض هؤلاء الجنود في تايين، وبخوا واحداً منا بعد آخر قائلين: لقد زاركم أحد آلهتكم وأنتم لا تكترثون له، حقاً لو زارتنا آلهتنا لأعطيناهم كل مالنا، فوسوس الشيطان بهذا الأسلوب من الكلام حتى أثار شغباً بين شعب تايين فقال قوم منهم: إن الذي زارنا إنما هو إلهنا، وقال آخرون - إن الله لا يُرى فلم يره أحد ولا موسى فليس هو الله بل هو بالحري ابنه)).

وقال آخرون: إنه ليس الله، ولا ابن الله لأنه ليس لله جسد فيلد بل هو نبي عظيم ورد هذا في الإصحاحين ٤٧، ٤٨.

ولكن عيسى نفسه ينكر ألوهيته - بعد أن رأى من قومه مارأى لما أظهر معجزاته لهم ..

من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونزول مائدة من السماء.. فيقول برنابا عن المسيح وهو ينكر ألوهيته.

((إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني براء من كل ما قال الناس عني من أنني أعظم من بشر..)) (الإصحاح ٩٤: ١-٢*) وفي الإصحاح ٥٢: ١٠-١٤ يقول:*

الحق أقول لكم متكلماً من القلب أنني أقشعر لأن العالم سيدعوني إلهاً.. وهكذا هو يتألم من هذه الافتراءات لأنها تحريف لحقيقته وحقيقة رسالته، وهذا لأمر

عظيم لأن الذي بعثه أرسله هدى وبشرى للعالمين من بني اسرائيل، ليس إلا.. ((...وإن أقامني الله نبياً على بيت اسرائيل لأجل صحة الضعفاء واصلاح الخطاء، خادم الله وأنتم شهداء على هذا)). وبعد كيف يكون عيسى إلهاً وهناك أناجيل كهذا يصرخ بعدم ألوهية المسيح.. فالأمر - محض إفتراء وتكريس للوثنية السالفة. ويؤكد ذلك مرقص في إنجيله، بقول عيسى عليه السلام.. (الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه) ١٢: ٣٠-٣١..

أثر بولس في المسيحية

يقول بعض المفكرين: إن دعوة عيسى عليه السلام قد انتهت بصلبه لأن أتباعه اختفوا وأنكروا علاقتهم بالمسيح، هكذا يقول (ولز): لدرجه أن بطرس لما اتهم بأنه أحد أتباعه أنكر المسيح وعلاقته به.. وبطرس هذا من الحواريين كما يُقال. وهو الذي قال قولته المشهورة: لا أعرف هذا الرجل (المسيح) كما يقول (ولز) وهو ما أورده أحمد شلبي في كتابه المسيحية*^(١).

كما أن عيسى نفسه لم يكتب إنجيله الصحيح وإن الذي كتبه هم من جاءوا من بعده لذا تعددت صور الأناجيل، وبذا لا يمكن أن تعطي الصورة الحقيقية عن رسالته أو مواعظه أو أقواله وأفعاله.. لابل دخلها تغيير كبير.. من مثل تأليه المسيح، والتأكيد على صلبه أو قتله، ومن ثم خروجه من القبر إلى تأليه الروح القدس.. الخ.

وكل ذلك لايمت لرسالة المسيح بصلبه -كما بينا- يضاف إلى ذلك أن رسالة المسيح كانت تنتمه لشريعة موسى، وتأكيداً على ما جاء فيها، كما أنها رساله لبني

(١) انظر المسيحية أحمد شلبي ص ٩٢

اسرائيل وكفى.. فما الذي جعلها بعد ذلك تتجه هذه الإتجاهات المغايره لحقيقتها، من حيث صبغها بالصبغه العالميه.. وهو الذي قال:

(ما جئت الا لخراف اسرائيل الضالاه).. إن مثل ذلك والرد عليه لابد أن يضعنا على الصراط المستقيم ،.

فنضع النقاط على الحروف فنعرف من أين جاءت تعاليم المسيح هذه التي جاء المبشرون - يبشرون بها العرب والمسلمين وكافة أنحاء المعموره.. ومنهم من يقول: ^(١)*

((أن المسيح لم يؤسس المسيحيه بل كان نواة لها هذا ما قاله wells)) إن يسوع الناصري هو نواة المسيحيه أكثر منه مؤسساً كما أن كلمة مسيحي لم تظهر إلا في القرن الثالث في المجلس الذي عقد بمدينة نيس * .

إن ذلك يضعنا وجهاً لوجه، أمام شخصية فريدة في التاريخ اسمها بولس والأصل شاعول كان له اليد الطولى في إرساء أسس المسيحيه، كما يريدنا هو لا كما يريدنا المسيح الزاهد الروحاني من وحي السماء.. ولكن كيف ببولس هذا (شاعول) يضع أسس المسيحيه ويتسلم هذه المهمه، لا بل كيف استطاع أن يتقمص هذا الدور العقائدي الممزوج بالترياق السياسي. ولنبدأ أولاً بسيرته الأولى، وعلاقته بالمسيح والمسيحيه..

أولاً- بولس يهودي الأصل وكان من ألد أعداء المسيحيه كما تذكر المصادر المختلفه، كما أنه لم ير المسيح ولا كان من حواريينه. يقول بولس في أعمال الرسل:

(١) انظر الهامش المسيحيه أحمد شلبي ص ٩٢-٩٤

((سمعتكم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أنني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها))* غلاطيه ١: ١٣-١٤ .

أما لوقا، وهو مريده وحببيه فيقول عن بولس هذا، بأنه (مؤسس المسيحية).. (وكان شاعول راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة.. ويدخل البيوت ويجرّ رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكنيسة..

...وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موتقين إلى أورشليم)) أعمال الرسل ٧: ٦٠، ٨ - ٣، ٩: ١-٢* .

لكن كيف استطاع أن يقنع الناس بما يقوله ويدّعيه، ولنسرد عنه قصه اختلقها قد تكون هي المجور الذي ارتكز عليه بولس لتدعيم مسيحيته أو أغراضه من المسيحية.. ادعى بولس: هذا الكلام على لسان لوقا حببيه وخليفه ومريده قال: ((لما كان بولس قريباً من دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء...،

فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهمني، فقال من أنت ياسيد؟؟ فقال الرب أنا يسوع الذي تضطهده.. فقال وهو مرتعد ومتحير. يارب وماذا تريد مني أن أفعل، فقال له قم وكرّر بالمسيحية))^(١).

هذا عن تسلم بولس لرسالة المسيح وبإذن من نور السماء.. أما عن ادعائه بأن المسيح ابن الله فيقول لوقا بعبارة صريحة..

((وللوقت جعل يكرّر في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله))

(١) انظر المسيحية أحمد شلبي ص ١١٢

وهكذا استمد بولس مسئوليته من السماء بادعائه أنه تسلم رسالة المسيح والدعوه لها من المسيح نفسه.. فهذا ولاشك لايليق أن تؤخذ هذه العقيدة الدينيه هكذا وبهذه الطريقه إذ لم يتسلم الحقيقه من الوحي مباشره ومن يدري أن هذا القول هو الصحيح بعينه..

في مثل هذه الوظيفه الخطيره.. سيّما أنه أدخل عليها أموراً تجمع بين الدين والسياسه: (فأدخل على ديانتته المسيحيه بعض تعاليم اليهود ليجذب عامة اليهود وأدخل صَوْرًا من فلسفه الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان)) وبذا أرسى بولس ديانتته التي ابتدعها على اسس ثلاثه: (١) أن المسيحيه دين عالمي ..

وتأليه المسيح.. أو هو ابن الله.. ومن ثم التثليث. وأن عيسى عليه السلام قام من بين الأموات ليجلس على يمين أبيه (الله).

والحق، إن بولس بإضافاته استرضى القوى المختلفه، وسيما منها السياسيه.. وبذلك لم يبق من كتب المسيحيه إلا كتاباته ورسائله، وكل مايمت لها بصله، من أمثال - كتابات لوقا وانجيله، ويوحنا وانجيله.. فهي قريبه في المبدأ والأصل والفرع أما القوى السياسيه، والإقطاعيه، فقد استرضاها هي الأخرى بقوله: مثلاً للعبيد..

((أيها العبيد أطيعوا سادتكم حب الجسد بخوف ورعده في بساطة قلوبكم كما للمسيح لابخدعة العين كمن يرضي الناس ،،

بل كعبيد المسيح عالمين مشيئة الله من القلب خادمين بنيّة صالحه كما للرب ليس للناس)) إفسس ٦: ٥ - ٧*.

ويكتب إلى تلميذه تيطس (ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلطين ويطيعوا
تيطس ٣ - ١ * ..)

وهكذا اختفت مبادئ الوحي الآتية عبر المسيح في الحق والحريه والخلص
من العبوديه والإقطاع لتتقلب إلى مثل تلك الأقوال.. حتى الكتب والأنجيل التي
تدعو للتوحيد أو الحريه أو كل مايمت لمواعظ المسيح وأقواله وأفعاله بصله..

كلها غابت عن الساحة حتى بعض الأنجيل التي نطقت بالحقيقه مثل إنجيل
برنابا، نبذ تماماً من التشريع المسيحي وتم - فقط الإعتماد على أنجيل متي ولوقا،
ومرقص، ويوحنا.. وكلها ربما أسماء لأصحابها وربما من وحيه والهامه -بولس-
يضاف إليها تشاريح المجامع والكنائس التي كرسست ألوهية المسيح والروح القدس
وفكرة الصليب..

*أسباب الصراعات الدينية

أولاً - التحولات المادية :

الملاحظ في الحقيقة المسيحية أنها مرت بمراحل وظروف أفقدتها أعظم الأهداف - وخاصة مايتعلق منها بأخبار الغيب وكذا الأهداف الروحية لدرجة القول:

أن عيسى عليه السلام كان جوهر رسالته التركيز على الأهداف الروحية حتى أنه توعد الغني بالويل والثبور من عظام الأمور وأنذره بأن لا أمل له بدخول الجنة أو دخول ملكوت الله كما لا أمل للجمل أن يدخل سم الخياط، فهذا ولاشك أمر مستحيل الحدوث.. والحقيقة، هذا أثر من آثار المسيحية، وهو محسوب عليهم.. وهو عكس مانراه من انتشار اللهو وحب الماده والترف.

والوثنيات المادية وهي التي استشرت في تلك المجتمعات بحجة النظام الرأسمالي الحر.. وهذا ولاشك يؤجج الصراعات بين الدول والمجتمعات والأفراد.. وهذا موروث من الإقطاعيات القديمة.. فما أن انتصرت البابوية في أوروبا على الأباطرة واستقر لهم الحال حتى أخذت المجتمعات الإقتصادية والزراعية الشكل الإقطاعي. وما هو محمد كامل ليله يلاحظ ذلك في كتابه النظم السياسي فيقول:

((ويلاحظ أن الكنيسة ساهمت بوضوح في تطور النظام الإقطاعي))*(^١).

ويقصد هنا بالإقطاعي هو احتكار الإقطاعيات والأراضي وتركزها في يد السادة.. وهذا يترتب عليه نشوء طبقة العبيد أو الخدم.. هل كانت رسالة المسيح ترشد الناس وتوجههم لمثل تلك الأعمال..؟ ومن ثم هل حقيقة هو جاء من أجل

(١) انظر النظم السياسي محمد كامل ليله ص ٤٠٢-٤٠٥

تقسيم المجتمعات إلى طبقات الساده والعبيد...؟؟ قيل أن الكنيسه أضحت جزءاً لا يتجزأ من النظام الإقطاعي *.(١)

ما بال أولئك لا يدركون من الحقيقة إلا نصفها.. قالوا بتقديس المسيح، وهو ابن الله، أو هو الرب..

كيف يكون ذلك؟؟ وهم لا يدركون حقيقة ما يفعلون، مع ما يؤمنون به فالمسيح قال بالحرية والزهدي والتواضع.. أيعقل أنه كان يقصد حرية الأغنياء والإقطاعيين فقط...؟؟ ويتابع محمد كامل ليله في كتابه النظم السياسي فيقول: (وكان أصحاب الإقطاعيات مسيحيون فقط، ومقصوره عليهم دون غيرهم من الأديان الأخرى) *.(٢)

احتكار مابعد احتكار!! أين المساواه والعدل التي ما انفك المسيح عن التبشير بها .. وهي المواعظ التي مابرحت مذكوره في الأناجيل.. وهذا ولاشك، تحول خطير عن مواعظ المسيح ورسالته السمحاء وانتقال خطير نحو الوثنيه الماديه - التي تستتبع نهماً وشرهاً لاحدود له في السعي وراء الماده ومشتقاتها، مهما كانت الوسائل وهو أمر خطير على الأفراد والمجتمعات المسيحيه وغير المسيحيه .. وهو الذي قاست منه شعوب العالم الأخرى.. والمسيح من ذلك براء..

ثانياً- تأليه المسيح والإنسان

وأما التحول الآخر الذي كان له الأثر الكبير في إنكفاء الصراعات الدينيه هو فكرة تأليه المسيح وهذا ولاشك أمر جد خطير لأن الرب في نظرهم تقمص في شخص المسيح الإنسان..

(١) انظر المصدر نفسه ص ٤٠٥

(٢) انظر/ النظم السياسي / محمد كامل ليله / ٤٠٥

وهذا أضفى نزوعاً مادياً وسلطوياً في الحياه الدينيه والأخلاقية للإنسان ..

وهو في نفس الوقت ينقل القدره الإلهيه والسلطه الدينيه إلى الإنسان وذلك بالخلافه والإستخلاف أو بالحلول..، فيصير الله في السماء والمسيح ابنه في الأرض وكأنه ممثل للرب.. وهذه السهوله في توزيع القدرات ومنحها لأشخاص هم من خلق الله (لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً) لهو بمثابة اتجاه خطير ومن خطورته:

أن الذي يمثل السلطه الدينيه هو بمثابة خليفة المسيح فيكون القائم على الكنيسة هو خليفة المسيح الوحيد في الأرض، وهذا الأمر يمنحه سلطات لا حدود لها في حياة الناس، لذا نشأت بدع كثيره.. منها عصمة البابا:

وهذه كانت أخطر الأمور في المسيحيه - فكان تأثيرها أولاً داخلياً على سلطة الدوله أو سلطة الأباطره مما سحب البساط من تحت أقدام الأباطره ومن ثم أصبحت السلطه الدينيه والدينيه بيد أشخاص أو بابوات يضعون التشريعات كلها.. مما أحدث صراعات داخلية وهذا كله في غياب نص ديني واحد يضاف إلى ذلك بدأت تشريعات أخرى تتسحب على الأمم الأخرى كانت بداية لإشعال الحروب الصليبيه، على العرب والمسلمين .

وهذا ولاشك نتيجة النزوع إلى الماديه وحب السيطره على العالم برمته وهو ما لم يأت به المسيح من عند الله.. والذي كان من دعاة السلام وحب الآخرين .

ثالثاً-التحول عن دعوة المسيح في السلام

جاء في معظم الأنجيل أن المسيح وهو يعظ قومه يقول لهم: ((أحبوا أعداءكم أو مبغضيكم)) إلى بقية المواعظ عن الأصدقاء أو الأعداء وكأن سبيله لنشر دعوته بين قومه هو السلام والوعظ والإرشاد، ودائماً يؤكد على أن رسالته محليه فقط هي لبني اسرائيل.. والذي حصل أن الذين تسلموا دفة الأمور الدينيه

والماديه من بعده هم ينزعون نزعات ماديه تشوبها الأنانيه والقسوه والثأر والتسلط.. وهذا ولا ريب انقلاب على مبادئ المسيح..

فنرى التجاءهم إلى تصفية الحسابات، بينهم وبين اعدائهم بالعنف والذبح والقتل إن داخلياً أوخارجياً، دون أن يبسطوا أيديهم لأنك الاعداء بالتبشير والوعظ السلمي الذي كان سبيل المسيح الوحيد.. ولاغرابه فقد حدث الكثير من ذلك في داخل الدين المسيحي، من حيث الإضطهاد للمخالفين والمفكرين..

الذين قالوا بوجهات نظر مختلفه، ومنه ماحدث في حالة الصراع البابوي الإمبراطوري، بين البابا والإمبراطور فهناك أمثله على ذلك كثيره ..

فقد تحدى البابا جريجوري - الإمبراطور هنري الرابع في مسألة تعين رجال الدين، ولما عارض الإمبراطور رأي البابا- نقل الأمر اليه، استخدم البابا السلاح الرهيب في وجه الإمبراطور سنة ١٠٧٦ بحرمانه من رحمة الكنيسة وعزله من منصبه ولذا دارت رحى الحرب بين البابا والإمبراطور الذي انتصر فيها البابا ومثل ذلك حدث بين فردريك الاول والبابا اسكندر الثالث*.. وغيرهم كثير.^(١)

رابعاً- تحويل المسيحية الى رساله عالميه

والأمر الأخطر من ذلك هو تحويلها إلى رساله عالميه، وهذا الأمر يترتب عليه أشياء خطيره من اعتقاد المسيحيين أنهم موكولون لهذا الأمر وهذه الوظيفه إلى قيام الساعه..

وعلى أسس ومبادئ لم يثبت أنها آتية من السماء على الوجه القطعي وهذا ولاشك تدمير للناموس الإلهي، لأن المسيح ما جاء الاحلقه واحده من حلقات الرساله السماويه.. والمسيح أشار بذلك أنه سيأتي من بعده رسول اسمه أحمد يكمل

(١) انظر النظم السياسييه محمد كامل ليله ص ٤٠٣

هذه الحلقات ومن ثم تصبح رسالةً واحدة إلى كل الأمم من خلال خاتم الرسل،
وختام الوحي السماوي..

والسبب يأتي من أن القرآن أشار إلى ذلك بوضوح تام.. وهناك مقارنات
يمكن أن يلحظها كل إنسان يتوق إلى معرفة الحقيقة.. فبينما الأنجيل متعددة
الاتجاهات والكتب والمبادئ ناهيك عن الإضافات في الشعائر والإعتقادات التي
تختلف من طائفة لأخرى، ومن شخص لآخر وقد أوردنا الكثير من ذلك، نرى في
الاتجاه الآخر :

أن القرآن ثابت لم ينله تحريف أو تبديل رغم الأعاصير والأهواء التي حاولت
فعل ذلك.. والسبب قاله خالق الإنسان والكون في قوله الأبدي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

والسبب أنه رساله عالميه بعكس الأنجيل المتعدده والمختلفه.. وهذا أمر
أدركه كثير من المفكرين الغربيين الأحرار.. وعليه إن فكرة عالميه الرساله
المسيحيه قد أخرجتها عن الأهداف المرسومه لها.. من أنها فقط لبني اسرائيل
ولمرحلة من مراحل البشريه انتهت بمجيء القرآن الذي ما جاء ليهدم الناموس
ولكن ليتمم الناموس ..

فمصدر الرسالات واحداً وكلها جاءت من عند الله ولايمكن أن تصطدم
وبعضها البعض ..

ولقد احتواها القرآن تلميحاً وتصريحاً ..

الفصل الرابع

الحروب الصليبية والاستشراق

بعد التحولات الخطيرة في رسالة المسيح حدثت أحداث داخلية -كما رأينا- وأحداثاً خارجية وخاصة ضد المسلمين أتباع رسالة القرآن رغم أن رسالة المسيح الحقيقية لا تتعارض مع رسالة الإسلام -كما رأينا- فالإثنان ينهلان من سراج واحد، ومصدر واحد..

ولوبقيت رسالة المسيح كما هي في عهد عيسى نقيه طاهره كصاحبها لآمن كل من آمن برسالة المسيح .

ولكن الذين كفروا برسالة محمد ﷺ، لا يقدرون الأديان حق قدرها.. لا بل هم وقعوا في صدام مع أهل دينهم أولاً.. ومن قبل أحدثوا عليها تغييرات جوهرية كانت سبباً مباشراً لهذا الصراع.. وخاصة أنهم قالوا بعصمة البابا تماماً كما هي ألوهية المسيح وأنه ابن الله والمسيح من ذلك براء..

بعد ذلك تم احتكار تفسير الكتاب المقدس من قبل البابا بالشكل الذي يراه مناسباً ومن ثم تطورت عقيدة الصليب وامتزجت بعد ذلك مع عالمية الرسالة المسيحية فاستعدوا بعد ذلك لكل الاحتمالات في سبيلها، بما في ذلك الصلب والقتل كيف لا وفي عرفهم، صُلب المسيح من قبل..

هكذا صورت لهم خيالاتهم الأمر، فحملوها الصليبان - ويمموا شطر دولة الإسلام.. ياللعجب ماهي دوافع ذلك؟؟.

وهل كانت بشرى المسيح ومواعظه هي ظهور دين جديد لا بد من التصدي له، والحوول دون إنتشاره؟؟.

أما أنا فأقول: لا يمكن أن يقودوا حملاتهم الصليبية وفي قلوبهم ذرة من الإيمان برسالة المسيح الصحيحة لأن الذي جاءوا به مناف لحقائق ومواعظ المسيح.. وأولى تلك المواعظ، كما يقولون أو هي بقية مما جاء به المسيح هو: (أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم).

وهذا ولا ريب قمة التسامح وهو لا يمكن أن يكون نبراساً ومنهاجاً لدعاة الصليب والصليبية، وحتى لو كان الإسلام والمسلمون أعداءهم فكان غير مطلوب مقاتله المسلمين أو ذبحهم ابتغاء شتى الوسائل من أجل تحقيق هذا الهدف على الأقل وفق الموعظه السالفة الذكر.. والذي يجب أن نعرفه أن الذين قادوا الحروب الصليبية على المسلمين، لم تكن لديهم المبادئ الأساسية لرسالة المسيح.. ولكن كانت لديهم مبادئ متناثرة أخرجت أشخاصاً حاربوا الدين أكثر من أن يناصروه ونصرة الدين لاتأتي بالعنف والقتل بل تأتي بالمعروف والإحسان والموعظه الحسنه..

ولاتأتي بصكوك الغفران والشرائع التي تكرر الهيمنه ومبادئ الصلب والتثليث وألوهية المسيح وتفسير الكتاب المقدس بالطريق الخاصه ولأشخاص معينين لهذا الغرض ومن ثم احتكار هذه الوظيفة وتسخيرها في تحقيق الأغراض الخاصه.. والذي كانت نتائجه الصراع المتواصل بين الأمم والشعوب وحتى الأفراد أنفسهم، كل ذلك أفرز حركات دينيه لمحاولة الإصلاح..

فظهرت الحركة البروتستنتيه المناهضه للمذهب الكاثوليكي ولو أن سلطات الكنيسه الدينيه أمسكت برسالة المسيح الحقيقيه لوقفت هي دون غيرها أمام السلاطين والأباطره الذين قادوا الحروب الصليبيه ضد الحقيقه الإسلاميه ..

ولكن للأسف تحالفت ثلاث قوى ضد هذه الحقيقة.. وكلها أضمرت العداء للإسلام والمسلمين ونكلت بهم شر تنكيل فقط لأنهم يقولون: ((لا إله إلا الله محمد رسول الله))..

وكانت هذه القوى متمثلة في الأباطرة أو أصحاب السلطة السياسية الذين خضعوا لسلطان الكنيسة، التي صورت لهم الأمور أن الصراع مع الحقيقة الإسلامية - حتمي وضروري .

إلا أن التحالف بين القوى كان مصلحياً مادياً المسيح منه براء، وأول المنتفعين من هذا الصراع كانت قوى الثروة والمال التي تبحث عن المزيد من الثروات والأموال لدى الآخرين وكذا كانت تبحث عن أسواق لتجاريتها ومصانعها في بلاد العرب والمسلمين أو غيرهم من الشعوب..

لذا كان شكل الصراع الإسلامي المسيحي في بدايه هو الصراع العسكري المادي أو هو المواجهه المباشره .

فكانت القوى الزاحفه نحو المنطقه العربيه الإسلاميه قوى غاشمه تريد السيطرة والهيمنه على المنطقه وعلى هذه الأمه لابل على الحقيقة الإسلاميه فإذا هي فشلت..

فالأمر لا يعدو كونه مرحله لا بد أن تأت بعدها مراحل حتى تتحقق الأهداف، لأن الحقد المتأجج في القلوب هو صراع بين الحق والباطل..

لابين الإسلام والمسيحيه فالحقيقه المشتركه بينهما لا تزول ولن تزول لأنها هي فقط الحقيقة الكبرى وهي معرفة الله معرفه حقيقه..

إنما الحق، والحق يقال ماكان لأولئك القادمين أن يفعلوا هذا الا بعد مرحله طويله على طريق تزييف الحقيقه تلك وتحرير مبادئ المسيح ومواعظه- الأمر الذي أشعل الفتيل الأول..

في دنيا المسلمين، ولم نبتعد كثيراً وقد أشعلوا مثله في دنيا المسيحيه - يوم أن أحرقوا دعاة الإصلاح الديني أو الناطقين بالحقيقة، حقيقة الله الواحد الأحد. كيف لا ومن قبل فعلوا ذلك مع صاحب الرسالة نفسه حين تأمروا عليه لقتله أوصلبه ..

إن الذين زرعوا الصليب على صدورهم وقادوا الحملات الصليبيه، حملة تلو الحمله، لم يخدموا رسالة المسيح في شيء ولكنهم عبروا عن حقدهم الدفين تجاه دعاة السلام والإسلام..والمسيح منهم براء..

كيف لا وهم، أرسوا أفكاراً ما أنزل الله بها من سلطان، كلها أفكاراً ماديه مغرقه بالأنانيه والوثنيه لا تخدم الا قوى الماده والسلطان كما نرى ذلك في ادارتهم الصليبيه:

٥ إدارة الصراع الصليبي

كان لهذا الصراع أسباباً أجمع عليها الكتاب في الآتي:

أولاً- العودة إلى الاراضي والبقاع التي حكمتها الأمم المسيحيه قبل ظهور الإسلام وهذا أمر أوسبب غير ديني، كما أرى لأنه بمثابة استعادته لأمجاد غابره - لاتمت للأهداف الدينيه بصله..

فلو كان القائمون عليها ممن آمنوا برسالة الأديان الواحده لما صعب عليهم الأمر حين حكمها المسلمون بشرع الله، فلو آمنوا لوقفوا بجانب القاده المسلمين في تسيير دفة الأمور في تلك الأصقاع كما حصل مع الكثير منهم حين دخلوا في دين

الله أفواجاً. ولاختصروا على أنفسهم مهمة الحروب تلك التي أسموها صليبيه وباسم الصليب، وهذا أيضاً المسيح منه براء..

ثانياً - تحرير بيت المقدس من المسلمين أو بالأحرى كان الهدف هو ضريح المسيح ولنسمع مقالته ول ديورانت، في كتابه قصة الحضارة عن خطبه لإربان الفرنسي الذي كان المحرض الحقيقي للحروب الصليبيه يقول: ((..فليثر همتمكم ضريح المسيح المقدس ربنا، ومنقذنا الضريح الذي تحتله الآن أمم نجسه..)) *.

وهكذا نرى التضليل واضحاً في هذا الصراع وهو نتيجة طبيعیه لتحريف الحقيقة - فالمسيح كما نعلم لا يملك ضريحاً في القدس ولا هو الرب كما يقولون ولا الذين امتلكوه هم أمم نجسه كل ذلك تضليل وتحريف للحقائق..

وهذا الأمر يضع النقاط على الحروف في الصراع الإسلامي المسيحي لا بل هو الذي أشاع مثل هذه الصراعات، وهي ولاشك نتاج الأفكار الوثنيه الماديه التي غرست مثل ذلك التضليل.. وهو ما نراه أكثر فأكثر في نفس الخطاب: ويقول أربان الفرنسي:

((ذلك بأن الأرض التي تسكنوها الآن والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال - ضيقه لا تتسع لسكانها الكثيرين، - تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيهم من الطعام ..))

وهو يعكس الصراع الداخلي بين الطبقات والأشراف والأقنان - العبيد، علماً أن البابوات كانوا على رأس الإقطاعيين، ويستمر في الخطاب فيقول: ((إن) أورشليم أرض لانظير لها في ثمارها، هي فردوس المباحج..))

وهكذا تتضح الأهداف الماديه في إذكاء الصراع الصليبي. بين المسلمين والمسيحيين ..

ثالثاً - ومن الأسباب الأخرى أن المدن الإيطالية، بيزه وجنوه والبندقية وأملغي كانت راغبة في التوسع التجاري إلى آفاق أخرى وبلاد أوسع وهذه ولاشك تخلوا الأخرى من أية أهداف دينية ولا يمكن أن تحسب من عناصر الصراع الديني بين الإسلام والمسيحية.. بل هي عناصر مادية وكفى.. ولتحقيق أهداف الحروب الصليبية ولبث العزيمه في الشعوب المسيحية أشاعوا على الملأ أن الأمم الإسلامية، تضطهد المسيحيين.. واخذ الحجاج يتحدثون عن الظلم والتحقير الذي يلاقونه من المسلمين ..

وهذا الأمر لا يحسب على العناصر الدينية أو هو مبدأ إسلامي تجاه الآخرين تعالوا نسمع معاملة الفاطميين قبل ذلك للمسيحيين، وكذلك معاملة صلاح الدين مع المجتمعات الأخرى.. يقول ول ديورانت في قصة الحضاره الآتي:

((كان الفاطميون حكام مصر قد حكموا فلسطين حكماً سمحاً رحيماً استمعت فيه الطوائف المسيحية بحرية واسعه في ممارسة الشعائر الدينية))*

أما في ظلال الحروب الصليبية التي خاضها صلاح الدين فكانت معاملته مع أعدائه، لا نظير لها كما يقول ول ديورانت:

أما النساء والبنات اللاتي قتل أزواجهن وأبائهن فقد وزع عليهن من ماله الخاص ما أطلق السنتين بحمد الله والثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معاملة رحيمة ونبيهه)..

كل ذلك يبين ولا ريب أن الإسلام والمسلمين الحقيقيين لا يمكن أن يضطهدوا الغير فما كان الإسلام إلا رحمة للعالمين ..

وكتب التاريخ حافله بممارسات الصليبيين في الديار الإسلامية حيث عاثوا فيها فساداً وقتلوا وذبحوا كل من وجدوه أمامهم حين احتلوا المدن الإسلامية وخاصة مدينة القدس..

وفي هذا يقول القس ريمند الإجيلي شاهد العيان - (وشاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين ، وقتل غيرهم رمياً بالسهم أو أرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج ، وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام ثم أحرقوا في النار ..

وكننت ترمى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام ، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل وحتى النساء والأطفال طعنوا أو قتلوا بالحرايب والسيوف ..

هل ياترى هذا ماجاء من أجله المسيح.. وقد قال من قبل أحبوا أعداءكم ،

أما المغريات الأخرى والوعود التي كانت الباعث على الحروب الصليبية، كما صورها وخطط لها الأباطرة والبابوات ورؤساء الإقطاع .. وهي القوى الثلاث التي تضافرت قواها لسحق الإسلام والمسلمين، بين نزعة دينية خالية من الحقائق ونزعة مادية..

بغرض الحصول على ثروات البلاد التي يصلون إليها، ونزعة ثالثة سلطوية بغرض مد رقعة الهيمنة والسيطره على الأمم والشعوب..

نعم كانت المغريات تخدم تلك القوى ومن هذه المغريات: أن كل من يخر صريعاً في الحرب قد وعد بأن تغفر له جميع الذنوب وهذه لا يملكها لا البابا ولا الإمبراطور ولا غيرهم، فلا يغفر الذنوب الا الله ..

أما الإغراءات المادية: فهي اعفاء سكان المدن من الضرائب واجلت ديون المدنيين على أن يؤديوا فائده نظير هذا التأجيل واطلق البابا سراح المسجونين، وخفف أحكام الإعدام مقابل خدمه في فلسطين)) وعليه انضوى لهذه الحروب الظالمة العناصر الشعبيه الآتية :

الذين يرغبون في تخليص أرض المسيح، التي ولد ومات فيها..

ومنهم من سئم الفقر الذي كان يعانيه.. ومنهم الذين يذهبون رغبة في المغامرة ومنهم الذين يرغبون في تكوين أقطاعات.. ومنهم الذين يبحثون عن أسواق أخرى للتجارة..

وهكذا نرى أن العنصر الديني في هذه الحروب هو فقط ضريح المسيح والأرض التي يوجد فيها هذا الضريح ..

وهذه لا تمت للمبادئ والقيم الدينية بصله لابل هي من قبيل التعصب الديني.. فكيف إذا عرفوا الحقيقة بأن المسيح لم يقتل وليس له ضريح.. ساعتها ماذا يبقى من أهدافهم غير تلك الأهداف المادية البحتة !!!؟

الإستشراق وأهدافه

كانت المرحلة الصليبية الأخرى في الصراع ضد الحقيقة الإسلامية تتجه شكلاً وأسلوباً جديداً، هذه المرة.. وكان مخططاً لها لتدارك الفشل وأسبابه الذي منيت به القيادات الصليبية الأولى عبر القرون الثلاثة المتواليه ..

الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر- وهي فترات الهجوم الصليبي الشرس، والذي قاده جهاذة المكر والإستغلال، من الفئات السياسيه والدينيه والذين أنكروا مبادئ المسيح في التعامل مع الأصدقاء أو الأعداء، جملةً وتفصيلاً، أمثال أربان الفرنسي الذي حرض على الحروب الصليبية، الأولى والتي فشلت في تحقيق أهدافها الرئيسة.. مما دعا إلى تغيير الأسلوب المادي المباشر في الصراع أما الآن فأصبح الأسلوب علمياً مدروساً..

نعم تغلب عليه الإعداد والدراسة والتخطيط والتهيئه ليسهل بعد ذلك الإجهاز على هذه الأمة.. فكانت البدايه بوسيلة الإستشراق - الذي قاده فنه من المستشرقين أو هم بمثابة الخبراء والمخططين للسياسات الصليبية.. فكانت مهامهم الأوليه هي:

- ١- دراسة العدو دراسه مستفيضه ومن جميع الجوانب لمعرفة عناصر القوه والضعف في المجتمع- العدو.
- ٢- وضع الخطط والوسائل للإجهاز على هذه الأمه، الوسائل الماديه منها وغير الماديه.
- ٣- التعرف على الطوائف والأحزاب والفرق في المجتمعات الإسلاميه لإنكاء روح الفتنه بينها لتشتيت الأمه الإسلاميه ..
- ٤- تحريف القيم في التراث الإسلامى لسلب الإنسان المسلم منه شخصيته الحقيقيه.

انشاء الجمعيات التبشيرية

- ١- جمعيه لتشجيع الدراسات الشرقيه بلندن وأصدرت مجلة الجمعيه الآسيويه، الملكيه .
 - ٢- الجمعيه الشرقيه الأمريكيه سنة ١٨٤٢ .
 - ٣- جمعيه للمستشرقين الفرنسيين .
- ثم انشاء مجلات خاصه بالمستشرقين ومن بين المجلات التي صدرت لتحقيق هذه الأغراض ما يلي:-
- مجلة جمعية الدراسات الشرقيه في مدينه جامبير بولاية أهايو.
- مجلة الشرق الأوسط.. ومجلة العالم الإسلامى- التي أنشأها صمويل زويمر سنة ١٩١١.

واصدار دائرة المعارف الإسلاميه بعدة لغات، وذلك ليسهل عليهم تحريف وتبديل محتويات هذه المعارف وما تحويه من تراث وقيم اسلاميه.. وهناك غير الوسائل المذكوره توجد الوسائل الأخرى المتمثله بالمؤتمرات الدوليه.. من أجل

وضع الدراسات والخطط لتحقيق الأهداف المرسومة ومن بين المؤتمرات التي عقدت لهذا الشأن.. (١)

مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦ ومؤتمر في بيروت عام ١٩١١ ومؤتمرات في القدس عام ١٩٢٤ وآخر ١٩٣٥.

وفي أمستردام بهولندا عام ١٩٤٨ ومؤتمر إيفانستون بأمريكا ١٩٥٤ وفي نيودلهي ١٩٦١ في الهند ومؤتمر في أوقتالا عام ١٩٦٨ بأوروبا، وغيرها كثير، أما هذه فهي على سبيل الأمثلة.. والحق، هناك وسائل أخرى كثيرة غير مذكرناه، ومنها وسيلة التبشير..

التبشير

أما المرحلة المتقدمة في عملية الإستشراق هذه؛ فهي المتابعة والتنفيذ لكل الدراسات والخطط التي وضعها المستشرقون وهذه تسمى المرحلة التبشيرية .. وهي قائمة على معطيات وضعها الأوائل من الخبراء الذين أسميناهم المستشرقين وهذه المرحلة التنفيذيه ؛تأتي هي الأخرى بأشكال وأساليب شعبيه ومنها الوسائل الآتية:

المدارس: لتعليم الاطفال اللغات الاجنبيه وصرف الأموال الباهظه عليهم من أجل الأخذ بعقولهم وتحويلهم عن القيم الإسلامية، والتربيه الإسلاميه وغرس النزعه الأجنبيه في أذهانهم عن طريق تمجيد الحضاره الغربيه والتقدم الذي أحرزه الغرب في مجال العلوم والتكنولوجيا.

المستشفيات: وذلك بالمعالجه المجانيه في أغلب الأحيان وذلك لتحويل الناس عن أهدافهم الأساسيه، واعطائهم الإنطباع أن المسيحيه وحدها تقوم بمثل هذه الأعمال المجانيه وذلك خدمه للإنسانيه، وهي تخفي في زواياها أهدافاً تبشيريه بين الحين والآخر وذلك عند عقد الندوات والمؤتمرات في المدارس والمستشفيات وكذا الجامعات.

الجامعات: وهذا أيضاً اسلوب له فضل كبير بالترويج للحضاره الأوروبيه والقيم الغربيه لنزع الشباب من تأييدها لأمتهأ إلى تأييد الأمم الغربيه المتقدمه وزرع أفكاراً استعماريه في أذهانهم والإيحاء لهم بفضل الحضاره الأوربيه على المجتمعات الإسلاميه ويُظهرون أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين..

وكل ذلك كان له أثر كبير في تدعيم سلطة الإستعمار، وظهور الحركات الدينيه المؤيده للإستعمار ..

..ولحاضرة الغرب الإستعماري، ومن أمثال الذين روجوا للإستعمار في البلاد الإسلامية من المسلمين، كان على رأسهم كما يقول الدكتور محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي وصلته بالإستعمار الغربي.. هو الزعيم الهندي المسلم سيد أحمد خان*^(١)..

الذي أغرته الحضارة الأوربية، وافتتن بالعلم الطبيعي تحت وطأة الحركات التبشيرية والإستشراقية المتواصلة - الذي كان له المردود المعاكس في الإتجاه القيمي والروحي التي هي أسمى الأهداف الدينية..

وهناك شخص آخر ادعي بأنه المهدي المنتظر وهو ميرزا غلام أحمد ويدعي أن فيه حل عيسى ومحمد عليهما السلام*^(٢).

والملاحظ أن نتائج التبشير والإستشراق كانت لصالح الفكر الإستعماري المادي، ولم يطرأ ولو تقدم بسيط في المجال الروحي الذي دعا اليه المسيح، من محبة الاصدقاء والأعداء على حد سواء ..

هذا على افتراض أن الأمة الإسلامية عدوه تقليديه للمسيحيين كما تُصَوّر ذلك الحركات الإستعمارية بمساعدة المبشرين والمستشرقين، إن هذا لم يكن يوماً ما هدفاً من أهداف المسيح الذي جاء بشرى للأُمم برسالة رسول من بعده اسمه أحمد.. ومثل ذلك حدث في البلاد العربية الإسلامية ..

والحق، نحن لم نكن في موقف نحسد عليه لأن الأمور تغيرت رأساً على عقب بعد استلام الإستعمار دفعة قياده والمسؤوليه في بلادنا والتي أطال عمرها بالنار والحديد وبتغيير كل المؤسسات الإجتماعيه والثقافيه والإقتصاديّه في

(١). انظر الفكر الإسلامي الحديث محمد البهي ص ٢٠

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٣٦

المجتمعات العربية والإسلامية، وكل هذه المحاولات والأجهزة التبشيرية والإستشراقية تجتمع على أهداف واحده ذكرنا بعضاً منها ونذكر شيئاً منها الآن..

أن القرآن من صنع محمد وتأليفه، وأنه مشتق من المسيحية أو اليهودية.^(١)

وأن الإسلام (دين ماله وترف ولهو) أما المسيحية فهي دين الحرية والعلم والسلام.* وأن الإسلام يفرق ولا يجمع فهناك عدة إسلامات، إسلام للشيعة وآخر للسنة وآخر لمذهب المالكية وأخيراً مذهب الحنابلة.*^(٢)

وطبعاً الهدف من كل ذلك، تفريغ الإسلام من مضمونه العقائدي والقيمي الذي كان سلاح المسلم وعدته، في مقارعة الأعداء.. فما انتصر الرسول يوماً بالقوة المادية.. وهو لا يملك منها إلا القليل.. القليل. ولكن انتصر بالقوه الروحية وبالعقيدة والقيم والأخلاق وبالموعظة الحسنه ..

كل ذلك كان عُد الرسول وعُدته وأما ما يروج له المبشرون فهو محض افتراء ولا يمت للحقيقة بصله.. وقد نكون قد افترينا على المبشرين أو المستشرقين، ولكن الحقائق التي أماننا واعترافاتهم تُفصح عما في صدورهم من كيد وحقد على هذه الأمة.. ولكن في زحمة ذلك التضليل، لاننسى فضل أولئك المستشرقين الذين يبحثون عن الحقيقة ليس إلا فهؤلاء أسلم منهم الكثير..

حين بانّت لهم الحقيقة الساطعه، أما الآن نطالع بعضاً من افتراءات المستشرقين، والمبشرين من الإسلام.

(١). انظر المصدر السابق ص ٦٦

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٧٠

موقف بعض المستشرقين من الإسلام

لكي تتجح المجهودات المتكامله من قبل الهيئات الصليبيه المتمثله بمختلف الإتجاهات والقوى والتي قامت بها من حيث الدراسه والتخطيط والإعداد.. نعم، لكي تتحقق الاهداف بكاملها كان لابدمن التهيئه النفسيه لهذا المشروع الضخم والعمل على الحط من القيمه الروحيه للإسلام لأن روح الإسلام هي القوه الحقيقيه التي اعتمد عليها رسول الإسلام في تحقيق الحقيقه الإسلاميه في المجتمعات والأمصار حتى وصلت حدود أوروبا غرباً وحدود الصين شرقاً..

نعم، كان الهدف هو تمزيق هذه القيمه عن طريق تمزيق وحدة المسلمين فكانت المحاولات متواصله من أجل هذا الهدف من شتى المستشرقين.. فهذا المستشرق الفرنسي كيمون* (١):

رأى أن ينهش من جانب الجسد الإسلامي برمته فقال:
وهو يصور للناس معنى الإسلام وبأنه مرض خطير جاء لعلاجه، هو فيقول أيضاً:
(إن الديانه المحمديه جذام تقشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مريع وشلل عام. إلى آخر مقاله المملوءه بالسموم والحقه على هذه الأمه لابل على الحقيقه الإسلاميه برمتها..

أما الذين طعنوا في الجماعات الإسلاميه وصفاتهم وأخلاقهم فكان على رأسهم جيسب الامريكي الذي يقول:

(١). انظر / المصدر السابق ص ٦٧

* يقول جيسب الأمريكي :-

((المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها حق قدرها إنهم لصوص وقتله ومتأخرون وإن التبشير سيعمل على تمدينهم))*(^١)

ترى أين وجد هذا المبشر هذا النفر القليل من المسلمين الذين عناهم هذا المستشرق في مقالته تلك، لاشك أنهم من طينته وممن تستهويهم الحانات والمواخير ودكاكين القمار ..

وهم ولاشك على شاكلته، لابل هم الذين روجوا له ولسياسته مقابل حفنه من المال، نحن لانقول لا يوجد مثل هذا النفر والا لما وجد الإستعمار أصلاً ..

وهؤلاء الأشكال من المبشرين والمستشرقين الذين اعتمدوا لا بل جل اعتمادهم على مثل هؤلاء الأندال .. أما المؤمن الحق فلا يتخذ من الكافرين أولياء، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فالمؤمن الحقيقي، يقدر الأديان حق قدرها ويفهمها فهماً جيداً وأنها تمثل سلسلة واحده وهدفها واحداً وأنها من مصدر واحد ..

نعم المؤمن الحق يفهم الدين المسيحي الحقيقي بنفس القدر الذي يفهم فيه الإسلام ولا يحط من قدره، ويرى أن الذي في المسيحية موجود مثله في القرآن، وما دام القرآن خاتم الرسالات ..

وهو أشملها وأكملها فمن باب أولى أن ينضوي تحت لواء القرآن وسمائه ..

(١). انظر/ الفكر الإسلامي الحديث/ محمد البهي /ص ٥٢٩

والحق، إن الهدف هو تمزيق الأمة التي تجتمع على كلمة واحدة وهذا واحد آخر، يفصح عن جليّة الأمر بصراحة أكثر وهو يقول: ((إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم، وخطراً..)) * (١)

وبذا هم يحرضون الأمم الأخرى ليس على المسلمين، بل يخصون العرب منهم، وكأن هذا يرى بضرب الأمة العربية قمة الإنتصار على الإسلام ..

ويغمر من طرف خفي للأمم والشعوب بأن تتحالف من أجل تحقيق هذا الهدف والالما تضافرت جهود التتار وهم من الشرق مع البابويه وهم من الغرب لسحق الإسلام ودولة الإسلام عام ١٢٥٤م.

وفصح القس: (كالهون سيمون) عن رغبة التبشير القويه في تفريق المسلمين بقوله:

(إن الوحدة الإسلامية تجمع أمانى الشعوب السود وتساعدهم على التخلص من السيطره الأوروبيه ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات (أو التوجهات) ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوروبيين في ثوب جديد جذاب، وعلى سلب الحركه الإسلاميه من عنصر القوه المتمركز فيها * (٢)

ولكن نحن نقول، لم تكن يوماً ما وحدة العرب أو المسلمين في دولة واحدة لتشكل أي خطر على أية دولة في العالم، لا بل العكس هو الذي حصل..

والحمد لله فالتجربة الإسلاميه وقعت وحصلت والنتائج تشهد عليها آثارها في الأندلس والهند والصين، أي من أقصى الغرب الى أقصى الشرق..

(١). الفكر الإسلامي الحديث/محمد البهي/ص٥٢٥/عن الإسلام والإرساليات /لورنس براون/ص٤٤-٤٨

(٢). المصدر نفسه/ص٥٢٦/ عن (كتاب التبشير والإستعمار) ص٣٢

وفوق كل ذلك، كانت نتائج الوحدة الإسلامية هو حرية الشعوب وازدهارها علمياً وثقافياً ومن ثم نشر العدل في ربوع العالم الذي وصلته الحقيقة الإسلامية..

أما الذين تعرضوا للقرآن وقللوا من أهميته أو قالوا هو من صنع محمد، كان على رأسهم.. نيكلسون في كتابه الصوفية في الإسلام: ص ٧-٨

((والقارئون للقرآن من الأوروبيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه محمد وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات))*(١)

أما المستشرق المشهور الإنجليزي (جب) يقول في نفس السياق: *

((أن القرآن ليس من عند الله بل هو من صنع محمد وتأليفه وها هو يقول:

((إن محمداً ككل شخصيه مبدعه قد تأثر بضرورات الظروف الخارجيه عنه المحيطه به من جهه ثم هو من جهه أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الأفكار والعقائد السائده في زمانه))*(٢)

ويقول رينان* عن عقيدة التوحيد في الإسلام (بأنها تضع المسلم في حيره وتحط به الى أسفل الدرك))*(٣).

ومن بين التضييل الذي يلجأ إليه المبشرون تفسير مجلة العالم الإسلامي (إلى الله المصير) فيقول إن إله الإسلام متكبر جبار مترفع عن البشريه بينما إله المسيحيه عطوف متواضع يتواد للناس..*(٤)

(١). انظر الفكر الإسلامي الحديث ص ٢١٣ محمد البهي

(٢). انظر المصدر السابق ص ٢٢٦

(٣). المصدر السابق ص ٥٣

(٤). انظر المصدر السابق ص ٥٦

هل ياترى كل ذلك من أفكار ومبادئ هي ماجاء به المبشرون والمستشرقون لبثها في عقول المسلمين، وهم كانت أهدافهم الأساسية.. أولاً الحط من الدين الإسلامي الذي صهر العالم في بوتقة واحدة، ولم يفرق فيها بين أسود وأبيض وعربي وأعجمي..

وتقبلته البشريه في كل الاصقاع وها هي آثاره مازالت بين المسلمين في الصين وروسيا والهند وكذا في أمريكا وأوروبا..

أم جاؤا للتشهير بالقرآن والرسالة الإسلامية، وهي التي مانجحوا في تحريفها يوماً ما رغم كل المحاولات، وبعد مرور هذه السنون.. وهوما لبث ناصعاً، لايناله تحريف أو تبديل ..

والحق، إن حقدهم على القرآن قاله ((وليم جيرفورد)) حيث يقول: ((متى توارى القرآن ومكه من بلاد العرب حينئذ نرى العربي يندرج في سبيل الحضاره الغربيه)).*

أما القسيس زويمر، فيقول للمبشرين لا تقنطوا من نتيجة التبشير إن كانت ضعيفه.* وهكذا هم جادون في محاربة الحقيقه الإسلاميه..

الإستعمار الصليبي

كان الإستعمار قمة الأهداف التبشيرية لابل على رأسها وما قامت فكرة الإستشراق -بادئ ذي بدء- وبعدها التبشير إلا من أجل التمهيد لهذا العمل وكأنه قمة الإنتصار لديهم، كيف لا وهو هدف مشترك لمراكز القوى الثلاث الممثله في السلطه الدينيه أولاً والسياسيه، ثانياً وسلطة رأس المال.. وهذا هو الثالث الفرعوني القديم يتجدد دائماً.. فإذا تحققت أهداف الإستعمار الصليبي تكون قد تحققت أهداف القوى الثلاثه السالفة الذكر..

فمن ناحيه، وبعد ظهور ظاهرة الإستعمار التي روج لها المستشرقون وهياؤا لها كل الأجواء، وبشر بظهورها المبشرون.. تدعمت أكثر فأكثر الظاهره الإستشراقية نفسها، وأرسلت جماهير غفيره من المبشرين الى المجتمعات الإسلاميه والدول الأخرى، في آسيا وأفريقيا بقصد استمرار السيطره والهيمنه على الشعوب خاصه الإسلاميه منها. والناحية الأخرى، هي تحسين وجه الإستعمار من قبل المبشرين والمستشرقين، حتى صوروا هذه الظاهره ..

أنها لرفع مستوى حياة الدول والأفراد التي جاءها الإستعمار لابل هي الوصي الرشيد على هذه الدول المتخلفه - في عرفهم..

فكانت النتائج سلبية لابل أدت الى تفاقم الأوضاع في المجتمعات الإسلاميه والعربيه والمجتمعات الناميه، والفقيره عامه.. فكان الإستعمار كابوس رهيب جثم على صدر هذه المجتمعات لم تتخلص منه الا بعد توضحيات جمه..

فبدل أن يجلبوا العدل والمساواه والمحبه والعلم والتقدم الذي وعدوا به، بدل ذلك كرسوا الظلم والمحاباه والتسلط والجهل بين الناس.. أما المجالات التي خطط لها الإستعمار وحقق بها أهداف المستشرقين والمبشرين والمستعمرين فهي:

أولاً- المجال السياسي: فقد انتزع القرار من اصحاب الشأن وفرضت قوى الإستعمار هيمنتها على الشعوب الإسلاميه فكانت فرصتها للإذلال، وتفتيس الأحقاد الصليبيه التي لبثت في الصدور قرون عديده.. فأذلت الأفراد كما اذلت الدول والشعوب الإسلاميه ونشرت في ربوع الأمه الرعب والظلم والخوف والتسلط..

فأصبح الحكم لأفراد معينين من قبل المركزيه الإستعماريه، مع مشاركة أزلامهم المختارين من قوى الظلم، والإستغلال من عبدة المال والشهوات.. فأكثرؤا في الارض الفساد وطغؤا في البلاد، وأزاحوا الحقيقه الإسلاميه من طريقهم سواء في الحكم أو غيره..

فكانت المصالح، كل المصالح بأيدي المستعمرين وتلامذتهم الذين تلقفوا الفكر الإستشراقي القائم على الوثنية المادية، والطغيان الكهنوتي الذي لفظته أوروبا ساعة تسلطه ووضعته في حجم لا يكاد فيه يبين.. فكان الفشل الذي حصدته سلطة الكنيسة في الإمبراطوريات الغربية ساعة انفصالها عن الدولة.. كل ذلك أرادت أن تعيد لها بعض المجد في الجيوب والمستعمرات الغربية وهي حامله معها أتعس التوجهات.. للتبشير بها في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية فالذي لاتصله الأفكار الصليبية المحرفة تصله السلطة الدينية المتعجرفه المنقوله من التوجهات الغربية والتسلط الكنسي الأقل..

وكان له أثر كبير في المجتمعات الإسلامية، حين تفرقت شيعاً وأحزاباً فدخلها الطغيان الديني الذي ما أنزل الله به من سلطان... من مثل تأليه الإنسان أو المسئول السياسي والديني والذي زرع الرعب بين النفوس لكل من يخالفها..

وفي المجال الثقافي

كان الحصاد من جنس البذور المغروسة إذ بعد مجهودات لاحدود لها، من المبشرين والمستعمرين والمستشرقين في هذا المجال استطاعوا أن ينفذوا الى البنيان الثقافي العربي والإسلامي وذلك ..

أولاً- عن طريق اللغة، لأنها سلك الكهرباء الموصول بلغة القرآن وهو الهدف الرئيس الذي يسعون الى تقطيع أوصاله، وحدث مثل ذلك في الجزائر لفرنسة الأمه عامة والأفراد خاصة، ونجحوا في ذلك نجاحاً باهراً.. حتى أصبحت أجيال وأجيال لا تتنطق إلا بالفرنسيه، لولا لطف الله وتحررها من هذا الكابوس اللعين ومثل ذلك حدث في تونس ولبنان وسوريا.. الخ

أما في دول الإستعمار الإنجليزي - مثل مصر والسودان والأردن وفلسطين والعراق.. الخ

فقد تركزت الجهود على اللغة الإنجليزية والفرنسية أحياناً، وكل ذلك في سبيل تحقيق أهداف المبشرين والمستشرقين الذين عرفنا شيئاً من أهدافهم نطقوا بها على رؤوس الأشهاد..

من دعوتهم إلى تفكيك الأمم وإيعادها عن مراكز قوتها، ومبادئ دينها ليسهل بالتالي وضعها في المنزقات الغربية النائية.. لتعبد الشيطان والوثنية، ولتنتسى الحقيقة الإسلامية والفكر الروحي الإسلامي الذي يخدم الدنيا والدين سواء بسواء. وعلى ذلك ومن أجل ذلك أقامت المعاهد اللغوية والتبشيرية..

لتبشر الناس بالمبادئ الغربية التي انسلخت عن الدين والتي منها المسيح براء..

ولكي تبقى الصورة معتمه، أيضاً حُرقت الكتب التي نالتها القوى الإستعمارية والتبشيرية إلا أنها وإن استطاعت الوصول إلى التراث الإسلامي.. والشروحات الإسلامية وبعض الأحاديث النبويه، إلا أنها لم ولن تصل قط للكتاب الإسلامي المقدس - القرآن الكريم..

فهذا محفوظ في الكتب أولاً وفي الصدور ثانياً، وهو جاهز دائماً للإنبعاث والتطبيق، ساعة الناس تشاء.. صحيح أن خسارتنا كبيره في المجال الثقافي ولكن عزأونا دائماً في بقاء القرآن ناصع البياض لايمسه إلا المطهرون، لنفيق به ومن أجله ساعة تحين الفرص..

ثانياً- أما المجال الآخر الذي تناوشته أيدي الغرباء، الصليبيين فكانت القيم والاخلاق الإسلامية فكان لابد من الإجهاز عليها، وفعلاً انتشرت الماديه وحب الشهوات والرذيله وشرب الخمر..

في ثنايا المجتمعات الإسلامية، فكانت خساره عظيمه والمصاب جلال ولازلنا نقطف نتائج هذا الإنحراف الأخلاقي ..

وبذا هيكل المجتمع الإسلامي تغيّر بالكامل على أيدي الغرباء المبشرين فلم يأتوا بما وعدونا به من البشائر والحب والأخلاق العظيمة التي جاء بها المسيح ..

والذي كان قمّةً في التسامح والعفو والصفح ونحن لم نلق منهم الا التدمير الشامل لكل شيء في الحياة جميل.. فنحن صدّرنا القيم والأخلاق وحسن المعامله وهم صدروا لنا الموبقات وحب الملذات والشهوات.. وذلك لتكريس الوثنيه التي حاربها المسيح، وما زالت آثارهم تشهد على ما فعلت أيديهم بالأمم والشعوب..

ونحن أيضاً مازلنا نعاني من رواسب استعمارهم وحقدهم الأسود على الحقيقة الإسلامية، وهنا نؤكد ونقول أن المسيح من ذلك براء،..ورسله وأعوانه وأتباعه الحقيقيين يسخطون من هذا الفعل الصليبي الأحمق الذي أنكرته قوى الحق في بلادهم من قبل، ومن بعد..

أما في المجال الإقتصادي

فكان المصاب كبيراً، لأن كل الثروات المذخرة قد وضع الإستعمار يده عليها ونهبها نهباً لم تفيق على أثره الأمة، فعانت الفقر والمسغبة والجوع، وكرست الرأسمالية المقيته، ونقلت الطغيان الإقطاعي الرأسمالي من أوروبا إلى المجتمعات الإسلامية فزاد الفقير فقراً والغني غنى..

حتى الحكومات العربيه والإسلاميه كانت رغم ثرواتها تعاني الضعف في البنيه الإقتصاديّه ..

وحرمت عليهم التصنيع لأنه لا يخدم الهدف الروحي للرسالات السماويه وهو أساس الطغيان، هكذا صورّ المستشرقون والمبشرون الأمور في مجتمعاتنا فحللوا لهم التصنيع والتقدم والبناء والعمران وحرموه علينا وعلى الأمم الناميه..

بسببة أن ذلك معاكس لمطالب السماء وكانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه ..

الحق صراعنا لم يكن يوماً صراع عقائد، إنه صراع مع الطغيان الوثني المادي الذي كان نتاج مبادئ محرفه لم تتطرق بها شريعته السماء ولا شريعته في الأرض، وهكذا كانت تجربتنا مع قادة الحملات الصليبية مريره ومع دعاة الشرك والألوهيه والوثنيه..

أكثر من مريره، فكانت هذه حالنا ضعف في البنيان السياسي والتشريع الحكومي وضعف في البنيان الثقافي وكذا في البنيان الإقتصادي.. وكل التشريعات الخاصه بذلك تغذي البنيان المادي الإستهلاكي ويكرس الآمال المؤقتة على الطموحات المستقبلية ..

الفصل الخامس

أسس الحوار الإسلامي المسيحي

وقبل أن نبدا بالحوار الإسلامي المسيحي لابد أن نتساءل، هل الحوار سيكون مع أبناء المسيحية ذاتها التي جاء بها المسيح أو مع المسيحيين الذين جاءت بهم الوثنية المادية حتى أن البعض ضمن هذا السياق خلط خطأ كبيراً..

فأعلن أن المسيحيين كانوا موجودين قبل مجيء المسيح نفسه، ولا أدري هل كان ذلك من ممارساتهم التي تشبه إلى حد كبير الذين سبقوهم من الأمم الأولى والتي خضعت للنظام الوثني كما هو وارد في إشارة ول ديورانت في قصة الحضارة:

(إن المسيحية لم تقضي على الوثنية بل تبنتها)*^(١).

ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها، وفي مثل هذا القول تأكيد واضح على النكوص التاريخي نحو الوثنية، وهذا أمر شديد خطوره ولايقبل به أصحاب الأديان الحقيقيين الذين صار عوا الوثنية منذ البدء.

وعليه لابد أن تكون هذه الإشارات إلى الوثنية المادية التي تغلغت في الكتاب المقدس-المسيحي، وفعلاً هي إشاره جديره بالإهتمام لأنها أبعدت المسيحية والمسيحيين.. عن التوجه الأساسي لرسالة المسيح التي كان عمودها الفقري التوحيد ونكران الذات والزهد في الحياة الدنيا.. فهؤلاء هم الذين نقصدهم بالحوار وعلى أسس علميه دينيه عقليه مستنده إلى أساسات ..

(١). انظر قصة الحضارة ول ديورانت ص ٢٧٥

لا تقبل الشك أو الجدل البيزنطي.. وعليه لابد أن نطرح أدوات الحوار ومعاييرها إن كنا نريد نتيجة حاسمه في هذا الصدد. والأدوات هي:

الكتب المقدسه لمعرفة الغيب وما وراء الطبيعة وهذا أساسي لابد منه حتى يكون الحوار جدير بالإعتبار من أجل الوصول للحقيقه الكبرى - وهي الأهم في فرز الأعمال والأخلاق والقيم..الخ والكتب المقدسه هي التوراه والإنجيل والقرآن، ومن ثم دراستها لمعرفة أحقيتها كمستند صدق للحوار يمكن الركون اليه..

ساعتها نرى ولاريب أحقية القرآن في هذا المجال لأكثر من سبب ربما ذكرنا الكثير منها ضمن هذه الدراسه، وأهمها أنه لا تبديل فيه ولا تغيير وهو كتاب واحد، بعكس الكتب الأخرى، وهو لا يهضم حق أحد سواءً إن كان مسيحياً أو يهودياً أو غير ذلك فهو يدعو إلى الإيمان بكل الكتب وبكل الأنبياء.

أما الكتب الأخرى فهي ضعيفه لاتصلح لأن تكون مستنداً حاسماً في هذا الصدد لأنها متعدده ..

وقد عرفنا رأي بعض المفكرين الغربيين حول النسخه الأصلية للإنجيل فهي مفقوده وغير موجوده، وأن ما يحويه الكتاب المقدس الإنجيل ليس إلا قصص تاريخ المسيح وبعضاً من مواعظه ممزوجه بتوجهات إنسانيه أدبيه عامه..

الأمر الذي يعترف به الجميع وأن المسيحيه توجه فردي تلمس أخلاق الفرد وليس من الضروره أن يعكس ذلك على التوجه الإجتماعي، وتُوج ذلك بعدم الإنسجام مع الدوله وتم الإنفصال فيما بين الدين والدوله إلى الابد..

وقد حصلت بدايات إصلاحيه قادها مفكرون اصلاحيون من العالم المسيحي، وهي كانت بمثابة اعتراضاً على التوجهات المسيحيه الرسميه التي كانت نتاج الأساس النظري العقيدي الذي أسس بنيانه بولس الرسول..

ولم تظهر الثورة الإصلاحية على حقيقتها إلا بعد أن ترسخ البنيان المسيحي النظري العقيدي على أسس بولسية بحثه لاندري علاقتها الحقيقية بالنص الإلهي - أي الوحي الذي جاء به إنجيل المسيح الحقيقي، وإلا لما بدا التناقض بين السلطة الدينية والتجمعات الشعبية بالازدياد وعلى رأس ذلك المثقفين أو المفكرين منهم..

والحق، هم كانوا على حق في فعلهم ذلك لأن الأمور انقلبت رأساً على عقب فبدل أن يتحرر الإنسان..

وضعت عليه قيوداً في الفكر والإعتقاد.. وتحول إلى إنسان مادي وغابت الروحانيه الحقيقيه في توجهات المسيح لابل ضاعت الحقيقه الكبرى في زحمة الماديات.. أين معرفة الله الواحد الأحد في هذا الزخم الحياتي المملوء بالشهوه واللهو والترف..

فالتحولات الخطيره التي حدثت في بنيان المسيحيه نراها قد أحدثت ردود فعل قويه في أوساط المثقفين، وسيما المفكرين منهم، ولما وصل التناقض بين الفئات الدينيه والثقافيه ذروته بافتعال بدع وشعائر ما أنزل الله بها من سلطان جار هؤلاء المثقفون بأصواتهم..

التي كانت مبحوحه وصامته وهم يرون الإنحرافات تجري على مسمع ومرأى الجميع

أما حين وصلت الأمور إلى البدع العمليه، كانت الثورة والدعوه للإصلاح، وسيما بعد الحروب الصليبيه واحتكاك الغرب بالشرق الإسلامي، والإضطلاع على بعض المبادئ الإسلاميه

ولكن تأثير حركة الإصلاح الديني في المسيحيه لم يكن أمراً كبيراً في البدايه، وذلك لأنها لم تتطرق إلى أسس العقيده..

التي حُرقت من قبل، مثل الصلب والتتليث والألوهية.. وكل ما هنالك أن حركة الإصلاح الديني قد طالت البدع والأباطيل من مثل.. حق الغفران، والصكوك وعصمة البابا، واحتكار تفسير الكتاب المقدس من قبل الكنيسة فقط..

والسبب أن هذه البدع وضعت المسيحية على المحك والتطبيق، وأما البنیان فهو خاوي من أساسه، لأن الأساس والعقيدة أيضاً خاويين.. والتطبيق جاء ترجمه عمليه للنظريه والمبدأ والاساس الضعيف لابد أن تكون نتائجه ضعيفه، تتخللها الإنحرافات والأباطيل، والسبب أن الفرصه والمبادره نُقلت الى الإنسان جملةً وتفصيلاً.

ولكن الرسالات والرسل ما جاءوا إلا لهداية الإنسان، وكل ذلك ما كان ليكون لولا ضعف الإنسان ونقصانه وخضوعه لآفة الخطأ والنسيان وهذا يناقض عصمة الإنسان أياً كان، إلا الأنبياء.

حركة الإصلاح الديني

والحق لم تمر الحركة الإصلاحية بسلام لأن الكنيسة كانت قد رسخت أقدامها فكراً وتطبيقاً وتغلغت في الطبقات المختلفة وأمسكت بزمام الأمور الدينية والدينيوية..

وفعلاً كان أشهر قادة الإصلاح في القرن الخامس عشر، كما يقول الدكتور أحمد شلبي هو: جيرم وهوس*^(١) هؤلاء أعدما حرقاً بالنار ..

(١). انظر المسيحية/ أحمد شلبي / ٢٥٨

أما مصلحي القرن السادس عشر، وفي إنجلترا مثلاً كان توماس مور الذي نادى بالإصلاح السلمي، وأما أشهرهم على الإطلاق فكان مارتن لوثر من المانيا، الذي هاله ما رأى من مساوئ الكنيسة وبدعها وممارساتها، من حق الغفران والحرمان، حتى ولو كان المحروم ورعاً تقياً فقط هو وقف ضد البابا أو الكنيسة، عليه لابد أن يستحق الحرمان..

والعكس صحيح في حالة الغفران، فمهما مارس الشخص من الموبقات والفواحش وطلب العفو والغفران ..

على طبق من الرضوخ والعبودية لتعاليم الكنيسة فلا بد أن تمنح له الصكوك مقابل هذا الرضوخ..

وقد حوكم مارتن لوثر في محاكم التفتيش لاحتجابه على هذه الصكوك وأصدرت هذه حكماً بحرمانه منها وأباحته دمه.. ولكن الحركة لم تنته بل تزيد نفوذها..

وأنشأت فيما بعد كنائس خاصة باسمها كحل وسط، أو نتيجة نهائية لحركة الإصلاح ولكنها لم تصل إلى الأهداف المرجوة.. وهي تقويض أركان الكنيسة السالفة الذكر.

وأهم ركن فيها هو الركن العقيدي المتمثل بالإشراك أو مبدأ الوهية المسيح ذاته أو هو شريك مع الله في الملك والقدره..

وهذه القضية التوحيدية هي التي أحدثت انعطافاً خطيراً في المسيحية وأجبت مشاعر المتقنين أو المتدينين الأحرار الذين جأروا بأصواتهم ضد هذا التوجه الإلحادي وعلى رأس أولئك أريوس الإسكندري..

والحق هذه قضية مشهورة وجدتها في الكتب العربية ممن كتبوها عرب أو كتب أجنبيه كتبوها أجنب غربيين، وكان ذكرهم لها من باب التذكير ببعض الصراعات والثورات داخل المسيحية أو ضمن الأعمال الإلحادية - برأيهم.. ولنسمع أولاً مقالة ول. ديورانت حول هذه القصة ولانريد سردها من البدايه ولكن مجمل القول هو:

((أن أريوس هذا قال، إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئاً واحداً، بل كان هو الكلمه أول الكائنات التي خلقها الله وأسماءها ..

واحتج الأسقف الكسندر على هذا القول ولكن أريوس أصر عليه وقال إنه إذا كان الإبن من نسل الأب فلا بد أن تكون ولادته قد حدثت في زمن آخر وعلى هذا لايمكن أن يكون الإبن متفقاً مع الأب في الزمن ، ويضاف إلى هذا أنه-إذا كان المسيح قد خلق فلا بد أن يكون خلقه من لاشيء أي من غير مادة الاب..الخ* (١).

والحق، كان ذلك ثوره عارمه على ألوهية المسيح، وهو الأساس العقيدي الأول في البنيان المسيحي الذي أرسى دعائمه بولس، أما ما أورده أحمد شلبي في كتابه المسيحية: فتقريباً هو نفس الشيء، من إنكار أريوس ألوهية المسيح جملةً وتفصيلاً وذلك بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ حين احتدم الصراع حول ألوهية المسيح وكان عدد المجتمعين كما يقول أحمد شلبي ٢٠٤٨، وفي هذا الإجتماع صاح العالم المصري أريوس صيحته التي كان يرددها دائماً...

((إن الأب وحده الله والإبن مخلوق مصنوع وقد كان الأب ولم يكن الإبن، وتضاربت آراء المجتمعين واختلفوا ولم يستطيعوا أن يصلوا الى قرار ويعلق في نفس الكتاب عبد الأحد داود على ذلك ضمن الهامش فيقول:*(٢)

(١). انظر المسيحية أحمد شلبي ص ١٤٧

(٢). انظر المسيحية الهامش - أحمد شلبي ص ١٤٣

لماذا لم ينزل الروح القدس على المجتمعين فيهديمهم سواء السبيل؟ ((لأن كاتب رسالة أعمال الرسل زعم أن الروح القدس ينزل كلما حزب أمر)). ولا اعتقد أن هناك أمراً خطيراً أخطر من هذا الأمر .

وخلاصة القول: عوقب أريوس بالقتل مع بعض مؤيديه واجتمع الأعضاء القائلون بالإلوهية للمسيح، وبالتثليث وهم ٣١٨ عضواً وأصدروا قرارهم المشهور، وهذا نص القرار:

نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع ما لا يرى وما يرى، وبالإبن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد..

وهكذا، وجد من بين المسيحيين أنفسهم من يؤمن بالتوحيد الإلهي وهي الحقيقة الإسلامية الساطعة في دنيا الإسلام ومن ثم هي التي فجرت أسس الحوار الإسلامي المسيحي، فكان هذا هو أساس الحوار وهو التوحيد بكلمة سواء.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهكذا وضع القرآن مفتاح الحوار بين الأديان والشرائع السماوية كلها على كلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)..

وهذه أوجدت أفقاً رحباً لأمثال أريوس وغير أريوس للدخول في دين الله الإسلام.. وقبل أن نبدأ الحوار على أساس كلمة سواء وهي كلمة (الله) الواحد لآبد ان نضيف كلمة حق بعد نزالات أريوس هذا الإسكندري.. والتي راح ضحيتها ومن قبله مارتن لوتر الذين جأروا بكلمة حق واعتبروا المسيحية بالشكل الذي أفرز البابويه وعصمة البابا وصكوك الغفران واحتكار التفسير للكتاب المقدس إن هي إلا

انقلاب خطير في المسيحية الحقيقيه التي نادى بها المسيح - كما هي واضحه في القرآن الكريم..

نعم نقول ذلك ونشمن مجهوداتهم ونذكرها لتكون خطوه على الدرب في الفكر الحر كما فعل ذلك مارتن لوثر - الذي وصف تعاليم الكنيسه بتعاليم الشيطان لفرط ما رأى منها من بدع وسيطره وتسلط كان له أثر كبير على المجتمع الأوروبي برمته فأعلن الحرب على الكنيسه وتعاليمها وكان قمة ذلك في فصل الدين عن الدوله..

والحق كانت الحروب الصليبيه والهجمات المتتاليه على المسلمين هي بفعل البابويه الذين ظلموا في بلادهم ومن ثم في بلاد غيرهم ..

وأوكام : هو الآخر انتقد السلطه الزمنيه التي يمارسها البابا لابل كافحها، وهو وإن انتقد الدين، وأعاب عليه إلا أنه كان يقصد ما لحق بالرسالة المسيحيه من انحرافات وخاصه في السلطه السياسيه العليا، وعصمة البابا في القول والعمل .. وهو الذي قال أفكاراً ناضجه عن (الله) وكلمة التوحيد، ومفاد عباراته أن الله لاتدركه الأبصار فهو لا شخص، ولاجنس ولا نوع، فلا يُشاهد ولا يحس، وإن مجال الله هو الإيمان والإعتقاد وليس الجدل العقيم ..

وأما أنا فإنني أضع أمامهم الحقيقه الكبرى التي تمثل الكلمه المشتركه بيننا وبينهم ولافضل لي فيها إلا الترتيب والجمع وكل الفضل للمولى عز وجل-في القرآن الكريم ..

العودة الى الحقيقة الكبرى

مقدمه

بتأثير عوامل مختلفه بدأت العقيدة التوحيديه تأخذ طريقها لدى الافراد والجماعات، وبهذا تعود الى الأصل وتترك عن كاهلها الوثنيه وكل القيود الإنسانيه التي كبلت الفكر الإنساني بأساطير وأفكار لاتمت للتوحيد بصله وها هو:

مجدي مرجان، وقد كان شماساً نصرانياً في عصرنا الحاضر يقول:*(إن شعوب النصرانيه التي فرض عليها التثليث بدأت تعود الى التوحيد الإلهي بصراحه ووضوح دون خوف أو وجل ..*)^(١) ويكتب الدكتور موريس بوكاي: كتاباً يقارن فيه بين الأديان والكتب المقدسه.. ويخلص الى نتيجته واحده وكتاب واحد وإله واحد لاشريك له*.

وفي هذا إيذان صارخ بمواجهة الوثنيه والشرك والعودة إلى التوحيد دون تردد أوخوف من مواجهة أحد كما حصل مع أريوس المصري أسقف كنيسة بوكاليس بالإسكندريه فحين اعلن أن الله واحد ولم يلد ولم يولد تكاثر عليه الأعداء واتهم بالكفر والهرطقه ثم قُتل..

وهذا الأسقف نسطورا ينكر ألوهية المسيح، وفي بولونيا نادى العلامة (سوسيتس) بوحدانية الله وبشريه المسيح مقررأ أن الإله لا يحل في البشر .. ويتابع الطهطاوي* ذكر بعض الموحدين فيذكر مجموعه نقلها من المهندس أحمد عبد الوهاب فيقول: لقد حدث أن انتعشت عقيدة التوحيد في بلاد المجر بين النصرى، وفي هولندا

(١). الميزان في مقارنة الأديان للطهطاوي ص ١٠٩

يعلن المفكر الهولندي (توماس اكبس في كتابه على خطى المسيح) فيقول هناك تناقض بين القول أن المسيح إلهاً أو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي * (١).

الحقيقة المشتركة في الإسلام والمسيحية

إذا كان جوهر الرسالة المسيحية عظيم الصلة بالرسالة الإسلامية قلباً وقالباً، فأين إذن مكنم العداء وسبب الداء في الصراع الإسلامي المسيحي؟ .

وإذا كان جوهر الإسلام لا يختلف شيئاً عن جوهر رسالة المسيح، لا في المبادئ ولا في الكليات فمثلاً في التوحيد الإلهي المطلق هذا اعترف به المسيح نفسه -بالنص القرآني.. وفي العبادات وفي المعاملات.. نعم في كل ذلك.

فأين الحلقة المفرغة التي يصطدم بها التشريع المسيحي مع التشريع الإسلامي.. مع العلم أن رسالة المسيح وما تتطويع من مبادئ توراتيه وانجيليه تشكل النصوص الرئيسية في القرآن، من خلال سرد قصص الأولين، وأخبارهم والتكاليف التي وجهت إليهم، فهناك سورة خاصة بآل عمران وهم الأساس في حياة مريم، وسورة خاصة بمريم وابنها المسيح عليه السلام ..

يضاف إلى ذلك قصص موسى عليه السلام مع قومه وهي التي تشكل جوهر الرسالة التوراتية.. فنصوص الإنجيل الصحيح والتوراه الصحيحه لاتؤخذ من كتب غير واضحة ولاتقدر حق الأنبياء قدرهم الذي يستحقونه..

وإنما تؤخذ من المعجزه الأبدية في التشريع والحكم وكذا في سيرة الأنبياء الحقيقيه. ولقد آن الألوان للتنبية على هذا الأمر، فكل التكاليف والمطالب التي وجهت للأولين هي منصوص عليها في القرآن، وبشكل يحفظ حقوق الإنسان الأبدية..

(١). انظر الميزان للطهطاوي ص ٨١

فمثلاً حكم القصاص جاء أول ما جاء إلا في التوراه إلا أن القرآن أكد عليه وأقره بالنص الآتي:

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

هذه الآية جاءت في التوراه التي قال القرآن عنها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وكان المفترض أن يكون أول المؤمنين برسالة محمد عليه السلام، هم أهل الإنجيل وقد بشرهم برسول يأتي من بعده اسمه أحمد وهو مكتوب عندهم في كتبهم، وها هو بالنص القرآني:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

فالأساس في الرساله الانجيليه والتوراتيه هو التصديق برسالة محمد القرآنيه ولا فارق بينهما إلا أن القرآن كان تنمة الرسائل وكان المفترض أن ينضوي الجميع تحت لوائه ومظاهر التصديق برسالة القرآن ومجيء محمد (أحمد) مكتوب في التوراه والإنجيل الصحيحين..

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

حتى المبادئ التي وردت في تلك الكتب هي نفسها كما رأينا المبادئ
الحقيقية في الإسلام والمسيحية.

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكان الجزاء الذي ينتظرهم لو آمنوا برسالة محمد المصدقه برسالة المسيح،
جزاء عظيما في الدنيا والآخرة:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ
جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥]. وها هو يُفصل سمة الإيمان المطلوب منهم:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ۚ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].
فكان المفترض أن يؤمنوا بما أنزل الله إليهم في:

أولاً: التوراه والإنجيل وبما أنزل إلى محمد ثانياً وهو القرآن أما الذين آمنوا
منهم، من القسسين أو الرهبان..

فكانوا إذا سمعوا الرسول يتلوا بعض آيات القرآن كانت أعينهم تفيض من الدمع وذلك حين وجدوا أن مايقوله هو مطابق لما بين أيديهم من نصوص صحيحة في التوراة والإنجيل وهاهو القرآن يذكر ذلك بالنص:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَآمَنَّا فَكُتِّبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

هؤلاء ومثلهم عرفوا حقيقة القرآن وما جاء به الإسلام فأسلموا لله رب العالمين لاشك أن أي عاقل وحيادي يلمس هذا التوافق أو الإتحاد العقيدي بين الرسالات-لأن جوهر الرسالات كلها هو الإيمان بالله أولاً واليوم الآخر ثانياً أي الحساب والعقاب، والقيام بالأعمال الصالحات ثالثاً..

وهاهو القرآن يذكرنا بتلك المبادئ المشتركة، لدى الرسالات السماوية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مِن ءَآمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

أين هم الفلاسفة الحاقدون، الذين زرعوا بذرة الحقد والكراهية في الرسالات السماوية لتضطرع الأمم وتتكاثر أول ما تتكاثر على أمة الإسلام عامه..

وحاملي الراية الإسلامية من العرب خاصة.. نعم أين أولئك الذين زرعوا الفتنة بين الأمم فصوروا الإله عدة آلهه، واحد للإسلام وآخر لليهود وآخر للمسيحيين، وباليتهم وقفوا عند ذلك بل أشركوا الأب والإبن والروح القدس وعزير ابن الله... الخ .

أمن أجل ذلك جاءت زخوفهم تبشر تارة وتدرس تارة أخرى، وتنزل الحمم والبراكين على أرض العرب والمسلمين لم كل تلك النقمه على هذه الأمه - الإسلاميه العربيه وماهي الإجاباه بالنص القرآني:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَن ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَن أَكْثَرُكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

الحقيقه الكبرى في المسيحيه:

الحقيقه الكبرى في الإسلام والمسيحيه هي أن الله واحد في السماء والأرض، ويجب أن تترسخ هذه في القلب، حتى تصبح اعتقاداً أبدياً تتضوي في عقيدة التوحيد.. وغير ذلك، انحراف عن هذا الصراط الإلهي واشراك مع الله، والله لا يقبل أن يشرك به أحداً.

وهذه العقيدة عقيدة التوحيد، لا تتبدل أو تتغير وهي قد جاء بها كل الرسل والأنبياء، وكلهم بشروا بهذه الحقيقه.. أما في المسيحيه فقد ورد على لسان المسيح عليه السلام قوله:

(فجاء واحد من الكتبه وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أن إجابتهم حسنه سألته أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك*^(١) وهذا نص انجيلي آخر:

(وهذه الحياه الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)* يوحنا اصحاب ١٧ عدد ٣.

(١). انظر انجيل مرقس ١٢: ٢٨-٣٢

في هذين النصين تتمثل الحقيقة الكبرى في المسيحية وغير ذلك هو انحراف عن هذه الحقيقة.. وأنا أعجب كل العجب كيف تتحول هذه النصوص الى حقائق مختلفة بين عشية وضحاها وهذه النصوص لا تختلف عن قوله تعالى بالنص القرآني: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۖ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۖ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۖ﴾ (١١٦) مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ۚ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٦].

ولا أظن غير ذلك إلا من صنع الإنسان لأن النصوص واضحة في الكتب المقدسة -الصحيحة.. حتى وإن نال بعضها نوع من التحريف إلا أن هذه الكتب لا تخلو من النصوص التي تصرح بوحدانية الله تعالى * كما رأينا من قبل ونلاحظ الآن :

فقد ورد في إنجيل متي أن ابليس طلب من المسيح عليه السلام أن يسجد له من دون الله حينئذ قال يسوع: (اذهب يا شيطان لأن مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد* (١)).

وفي رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية:

((لأن الله واحد)) * أينما نذهب نتجلى إرادة الله الواحد الأحد، لا يستطيع واحد من البشر انكار ذلك حتى بولس في رسائله إذ لابد أن نجد شيئاً من الوحدانية والتوحيد بالله الواحد القهار .

وفي رسالته إلى أهل أغلاطيه (أما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد)*^(١).

وها هو ينطق بذلك في رسالة يعقوب أيضاً (وأنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل)* يعقوب ١٩، ٢٠.

أما يوحنا فيروي عن عيسى عليه السلام قوله :

(إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)*^(٢). ومتي يروي قول عيسى: (إن أباكم واحد الذي في السماوات)*^(٣).

ويروي يوحنا في الفصل الأول من انجيله (الله لم يره أحد قط) وهو طبعاً بخلاف المسيح عليه السلام. كل ذلك ذكرناه من كتبهم وهم يشهدون بذلك بنصوص واضحة..

بشرية الرسول عيسى

المسيح انسان وابن انسان: ((فلما رأى قائد المائة ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً)*^(٤). كانت الجموع تعترف بأنه إنسان بار وابن إنسان يأكل ويشرب .

المسيح يأكل ويشرب: (جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب)*^(٥).

فهو كسائر الرسل وذلك جاء بالنص القرآني: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ

(١). رسالة بولس إلى غلاطيه ٣، ٢٠.

(٢). يوحنا ٢٠، ١٨.

(٣). متي ٢٣، ٨.

(٤). انظر لوقا ٢٣-٤٧.

(٥). انظر متي ١١-١٩.

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴿٧﴾ [الفرقان: ٧].

فالرسل من بني الإنسان وذلك حتى يكلموهم بنفس لغتهم ويعيشون معهم الحياه ويكابدون معهم ..

شظف العيش والفقر والضعف ويعانون من المرض.. ونرى المسيح في الإصحاح الرابع من انجيل يوحنا قد أعياه التعب وجلس على بئر يعقوب في منطقة السامرة فجاءته امرأه سامريه وطلب منها أن تسقيه فأبت أن تسقيه لأنه يهودي.* (١)

المسيح يحزن :

ثم أخذ معه بطرس وابن زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينه جداً حتى الموت.* (٢)

المسيح لا يعلم الغيب: يقول وأما ذلك اليوم وتلك الساعه فلا يعلم بها أحد ولا الملائكه الذين في السماء ولا الإبن إلا الأب.*

هذا غيظ من فيض الأنجيل وغيرها من أدبيات وتراث النصارى تنطق بالحقيقه الكبرى التي لامراء فيها ولا جدال بأن المسيح رسول من عند الله فيه الصفات البشريه جميعها أي هو بشر محض جاء برسالة واضحه، ونبي الى بني اسرائيل .

أما عن صفة عيسى كرَسُول :

فيروي يوحنا عن عيسى قوله: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)* (٣).

(١). انظر انجيل يوحنا ٤-١٩

(٢). انظر متي ٢٦-٢٧-٢٨

(٣). انظر يوحنا ١٨: ٢٠

ويقول أيضاً: (ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم).*(١)

ويقول أيضاً: (وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله)*(٢)

أما في انجيل متي قوله (هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل)*(٣)

أما انجيل لوقا: قد خرج نبي عظيم*(٤).

أما في انجيل برنابا فإن حقيقة عيسى كرسول واضحه أكثر وصفاته كبشر تتضح أكثر فأكثر فيقول عن نفسه:

إنني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنني بريء من كل ما قاله الناس عني من أنني أعظم من بشر.. لأنني بشر مولود من امرأه وعرضه لحكم الله أعيش كسائر البشر عرضه للشقاء العام)*(٥).

وهكذا نرى الإتفاق تاماً على بعض الأمور والقضايا الرئيسة من مثل بشرية الرسول، وقضية التوحيد ومن ثم صفات عيسى وكل الأنبياء من قبله إلا أن الأمر الذي يؤسف له أن هذه الأمور لم تبق كما كانت عليه فاستبدلت كل القضايا أو أغلبها ببدع ما أنزل الله بها من سلطان..

فالرسول تحوّل جيلاً اثر جيل الى ابن الله أو هو الرب أو هو والرب في مرتبة واحدة، وبذا أساس التوحيد قد تهدم من الأساس وخاصه بعد إعلان الوهية المسيح ونكران صفته كبشر..

(١). يوحنا ٦:١٤

(٢). يوحنا ٨:٤٠

(٣). متي ٢١:١١

(٤). لوقا ٧:١٦

(٥). انظر برنابا ٩٤: ٢-١

الحقيقة الكبرى في الإسلام

وهكذا نرى في القرآن و الإنجيل أن الله واحد ولا شريك له فلا المسيح هو الله ولا هو ابن الله وهذه قضية لاتحتاج لكفاح وصراع وقد نطق بها القرآن والإنجيل - كما راينا- وتلك النصوص لاتحتمل الإشراف بالله وهذا في نص الالاه: ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤].

والقضية التوحيدية هذه تحسم الأمر وتزح كل الطواغيت والأوثان والأرباب - الذين استعبدوا وحكروا عليهم العلم والعلوم والتفقه في الدين ومن ثم:

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذه القضايا الثلاث، هي أساس الحوار للوصول إلى الحقائق ومنها هذه الحقيقة الكبرى - حقيقة الله الواحد الأحد لأن أية قضية غيرها يمكن أن يغفر للإنسان- إن هو انتقص منها شيئاً أو أهملها أما الشرك فلا يغفر هذا الأمر من أي إنسان كان، وفوق كل ذلك يطرح القرآن قضية التوحيد الإلهي هذه للنقاش العلمي.. وهي تسهل على الإنسان- فهمها، وسيما العلماء منهم والمفكرين الذين يبحثون في ملكوت السماوات والأرض.. لابل يرى العلماء الذين حاربوا من الكنيسة أو غيرها حين بحثوا في ملكوت السماوات والأرض..

أمثال جاليلو الإيطالي أو سقراط أوغيرهم، من قبل ومن بعد أن القضية الأساسية هذه مطروحة للنقاش العلمي ودون خوف أووجل وسيرى هؤلاء وأولئك أن إلهاً، يسير هذا الكون، ولو كان معه آلهة أخرى لفسدت الأرض وسيرى أنه هو الذي يضر وينفع ويبسط الرزق لمن يشاء وما المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وكذا محمد ابن عبد الله..

التوحيد والمعرفة الإلهية

أدركت البشريه مذ وجدت على ظهر الأرض، وعن طريق الإحياء الطبيعي -الفطري، أن هناك قوه عظيمه تعلو فوق كل القوى -بشريه أوطبيعيه، قادره على كل شيء، وأن عظمتها ظاهره للعيان في تقدير الكون وتنظيمه بسمت عجيب - إنه السمت الإلهي الذي لا ترى فيه من خلل أو تفاوت..

وهذا التقدير العظيم والفعل الذي لا يضاويه فعل إن في الأنفس أو في الآفاق لهو الفعل الذي اصطلح عليه بالفعل الإلهي أو القدره الإلهيه وهذه تدل على الخالق الواحد وتوصل الى الكلمه الواحده (الله).

أو هي الحقيقه الكبرى.. الد ما فتىء الإنسان يبحث عنها، ومرة يهتدي ومرات يضل أو يتوه، ولكن على أية حال اهتدى بهداية الرسل والأنبياء أو المصلحين أو بالإحياء الفطري، كما ذكرنا ..

إلا أن مرات الضلال كانت أكثرها عناداً وتطعماً وهويلعلم الحق اليقين، وحتى في مرات الهدايه والوصول إلى الحقيقه الكبرى كانت المشكله الرئيسيه دائماً الإشراك بالله رغم الإعتراف بوجود الله. أو إتخاذ الأحبار والرهبان والوسطاء أرباباً من دون الله..

فكانت الطامه الكبرى، لأن الفاصل هذا بين الله وعبده هو الذي يحول بين المرء وربّه لابل يضلّه ضلالاً بعيداً..

وكان أحسن اليقين والهدي هو الذي كان يأتي عن طريق العلم والإقتناع وهو سبيل ابراهيم إلى ربّه..

حتى يكون من الموقنين، فكانت وسائله إلى ذلك النظر في الآفاق وفي النفس وهذا ولاشك سبيل النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض.. وقد طرح القرآن هذا السبيل لكل الأمم والشعوب حتى التي لم تأتها الرسالات أو المبشرين أو

غيرهم فإن القرآن يطرح عليهم في زمن العلم الأسلوب العلمي للوصول الى هذه الحقيقة الكبرى..

والحق هي قمة الحقائق لأنها تخلص الإنسان من المشاكل وتحرره من الطواغيت والأوثان، أما الذين يعبدون الله لأنه يضر وينفع شأنهم شأن الأولين في العبادة فهؤلاء يكون إيمانهم ضعيفاً، بالطريقة التي دخل بها الإيمان نفوسهم عبر منافعهم بالطريقة ذاتها يمكن أن يخرج، وعلى هذا فإن إيمانهم لم يصل الى نفوسهم إلا عبر جسور ماديته، وتصورات حسيه، وهي أضعف من أن تقاوم أول ربح عاتيه تصادفهم، فيصبح ذاك الإيمان عرضه للإنهيار ..

لأن أساساته ماديته بحتة فتخطفهم الريح وتهوي بهم إلى هاوية الشرك والوثنية..

وفعلاً، ما أكثر ما يُشرك أمثال هؤلاء بالله ربما من حيث لا يدرون، حين تتحرف بهم أهواءهم وولعهم المفرط بمتع الحياة ولذائذها الى تقديس الأشخاص الذين كانوا سبباً في حياتهم المترفة ونعيمهم الزائل ومتعهم التي لاتدوم..

لذا اتخذوهم أرباباً من دون الله - يحبونهم كحب الله أو أشد حباً، وكأنهم نسوا أن ذلك النعيم الذي يتمتعون به هو من فضل الله..

لا من فضل أولئك، وهول الابتلاء والاختيار ليرى كيف يفعلون ساعتئذ (وهو بهم عليهم).

أما حين يدخل الإيمان القلوب ويتعمق في النفوس عبر منافذ العقل وتأملاته في ملكوت السماوات والأرض بحيث تصل حقيقة الله الى القلب كما ينبغي لها أن تصل، إذ بذلك تستقر فيصدق بها القلب ويلهج بآثارها اللسان ..

وبهذا الإيمان الراسخ، الذي لاتزعزعه الشكوك ولا المخاوف ولاحتى متع الدنيا ولا زخارفها، قلّت أو كثرت وبهذا يقبل الصائم على الجوع طلباً للمغفرة والمقاتل على الحرب طلباً للشهادة في سبيل الله، من أجل رضوان الله الذي وقرت محبته في القلب، ويقبل أيضاً الزاهد على محرابه متعبداً قابلاً، بشغف العيش في الدنيا من أجل محبة الله في الآخرة.

هؤلاء هم الذين يفهمون التوحيد بالله بمعناه الصحيح، لأولئك الذين لا يرون في الله إلا بمقدار ما يصلهم من متع وزخارف الدنيا العاجله.. لابل هؤلاء الذين وضحت عندهم فكرة الألوهية وضوحاً لايعتريه تغيير ولا تبديل، لذا كان القرآن حريصاً على هذا الطريق العلمي البحت للوصول إلى معرفة الله، والتوحيد به.. فبالقرآن وبالعلم وبآيات الله في الكون وفي الأنفس تتضح الرؤية وتنقشع الغمامه.. أما القرآن فلأن النموذج الإيماني هذا قد طرح فيه ولم يتغير وهو بمثابة إشاره ليس إلا، نحو استخدام وسائل العلم ووسائل الكون للوصول الى حقيقة التوحيد..

فبالعقل يقول القرآن تأملوا ملكوت السماوات والأرض والشمس والقمر والليل والنهار، الإنسان والحيوان والنبات والطعام، وهذه إشارات فقط على طريق الإيمان، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر..

*ويضرب الله مثلاً على ابراهيم النبي يبين كيف يصل الإنسان الى حقيقة الإيمان بالله فكان نموذجاً للبشرية يمكن أن يحذي حذوه كل انسان جاد بالوصول إلى الحقيقة فيقول تعالى:

فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿وَكَذَلِكَ نُرِىْ اِبْرٰهِيْمَ مَلَكُوْتِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُوْنَ

مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [الأنعام: ٧٥] .

تلك البدايه، النظر والتأمل وبهما وصل الى الحقيقه، كما نرى أيضاً:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّ أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّ أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى السَّمَاءَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفُومِرِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٩].

هذه التجربة الإيمانيه يمكن أن نطبقها في كل العصور حتى في عصرنا العلمي الحاضر الذي وصل فيه الإنسان من التقدم الى أن وضع قدماء الأولى على سطح القمر، وإن لم ينفذ هذا معهم..
فهم بذلك ينطبق عليهم قوله تعالى: ((الترکبن طبقاتن طبق فمالهم لايؤمنون)).

وفعلاً سيصعدون سماءً بعد أخرى وهم بعد لايؤمنون أو ربما لا تكفيهم تلك البراهين والأدلة على الوجود الإلهي،..

* فلربما الآيات الآتية: في خلق الإنسان تنفعهم على هذا الدرب

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٥-٧].

هذا هو القرآن وهذه هي معجزته الأبدية كتبت في القرآن منذ أربعة عشر قرناً وهي مازالت صالحه لكل زمان ومكان، تخاطب القلب والجسد والعقل يقول تعالى بعد ذلك:

﴿فَمِنْ أَتْبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

ربما ذلك لا يفهم للإيمان.. فإن كان فما بالهم بالآيات الآتية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

نعم ما بالهم بذاك القول أهو من عند محمد؟ وإن كان! فكيف بإمي لا يقرأ ولا يكتب يأتي بمثل ذلك الإسلوب العلمي..

في موضوع علمي، لم تتضح معالمه بعد إلا في هذا العصر وبعد عشرات السنين من البحث المتواصل ..

وفعلاً كان آخرنتيجة علميه لا تقبل الجدل والشك، أن الإنسان خلق من تراب لابل عناصر الإنسان هي نفسها عناصر التراب -الطين- من مثل معادن الحديد والفسفور والمنغنيز والكالسيوم والبوتاسيوم.. الخ. ولكن ذلك مكتوب في القرآن منذ أربعة عشر قرناً كما يأتي :

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

هذا عن خلق الإنسان وهم أدركوه أخيراً بالتجربة العلمييه.. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ

بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

**لابأس فلنحدثهم عن طعامهم لعلهم لايلحدون، فيؤمنوا برب العالمين وهذا قوله

تعالى بالنص القرآني: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا

جَبًّا ۚ وَنَبَّأْنَا وَقْصَبًا ۚ وَزَيَّنَّاهَا وَمَخَلَّا ۚ وَحَدَّائِقَ عُثْبًا ۚ﴾ [عبس: ٢٥-٣٠].

هذه مراحل اخراج الطعام من الأرض إن استطاعوا غير ذلك فليتقدموا

بالبرهان..

وهذا الدرس الابدي في الزراعه لايتغير ولن يتغير، وهذه التأملات القرآنيه

الممزوجه بحقائق العلم والمكتوبه في صفحه الكون إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الذي خلق الكون هو نفسه الذي وضع الناموس العلمي..

وهو نفسه الذي أوحى بالقرآن للإنسان والحقيقه التي أودعها الله في الكون وهي الحقيقه الكونيه هي نفسها التي أوجد لها الناموس والقانون العلمي وهي نفسها المذكوره بآيات من الذكر الحكيم.. وهكذا يذكر المولى عز وجل أن أولى الالباب والعلماء هم أقدر من غيرهم على فهم العلائق الوثيقه بين الحقائق الكونيه والعلميه والقرانيه.. وهؤلاء هم الأقدر على فهم الحقيقه الكبرى التي مهدت وقدرت كل شيء كما نرى في النص قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي

الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

*وعن الشمس والقمر يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ

مُسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

والعلماء وحدهم يفهمون حقائق الشمس والقمر أو أقدر من غيرهم على فهم ذلك وعليه فإن سبيل الحوار العلمي هو السبيل القويم للوصول الى معرفة الله معرفه حقيقه، وما داموا هم أهل العلم والحضاره كما يدعون ..

فلنطرح قضية الوحدانيه، بيننا وبينهم للنقاش العلمي والحوار الفكري وما هي القضية التي أشار إليها القرآن. فالذي جاء بالقرآن عن الشمس لا يمكن أن يكون من صنع إنسان وهو لا يملك بعد من وسائل العلم شيئاً..

فالشمس في السماء لغز مجهول ولكنها في القرآن: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿[يس:٣٩، ٣٨].

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].

هذه الحقائق عن الشمس والقمر والليل والنهار هل تغيرت، لا وألف لا.. وإنما الإنسان هو الذي يفهم منها بمقدار ما يعلمه ويعرفه من العلوم وبمقدار ما يملك من الوسائل وأما الحقائق فهي في الكون ثابتة لا تتغير وكذا هي في القرآن..

أما حقائق الليل والنهار ((فلا الليل سابق النهار))، أيضاً..

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢].

والهدف من كل ذلك:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ٩-١١]

وأخيراً ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الإسراء: ١٢].

هذه الحقائق مختصرة، ولكنها إشارات تفتح آفاقاً رحبة للعلم والمعرفة ولم تكن تلك الآيات بذي معنى قبل عصر العلم والمعرفة وإن وجدت منذ الأزل، ولكنها الآن فقط اتضحت وعرفت العلاقة الزمنية، من مسيرة الليل والنهار.. وعليه فإن القرآن والكون آيات محكمات متسقة وبعضها البعض، وأما الإنسان فهو الذي يتأخر عنها في المعرفة والآيات الأخرى في الليل والنهار: ﴿وَأَيُّهُمْ لَّهُمْ أَلَيْلٌ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

ونقول للذين فصلوا الدين عن الدولة واعتبروا التقدم والحضارة هو الثمرة، لذلك نقول لهم أن الأمر عندنا ..

مختلف ولايجوز أن يؤخذ الإسلام أو القرآن بجريرة مافعلته الكنيسة، باسم

الدين المسيحي في مطابقتها ومحاربتها للعلوم هؤلاء وغيرهم نقول لهم: ﴿قُلْ

أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ

إِلَّا غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٌ تُسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

هم صعدوا الى القمر، وقالوا لم نجد في صعودنا ما يسمونه (الله)، ولكن نقول

إن القمر الذي وصلوا اليه هو ظاهره كونييه موجوده من قبل وكل مافعلوه لا يخرج

عن هذه الآيه:

﴿بِمَعَشَرِ الْإِنِّ وَالْإِنِّ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وها هو سلطان العلم يوصلهم الى القمر، وإن وصلوه متأخرين فإن الإذن قد صدرلهم من قبل.. وحتى صعودهم الى السماء، لم يغير من حقائق القمر من شيء.. وكل ما فعلوه هو الوصول الى جزء ضئيل من مخلوقات الله التي لاتعد ولا تحصى.

كان الحري بهم وهم يصعدون إلى السماء ويرون ملكوت السموات والأرض أن تشخص أبصارهم ذله وخشوعاً وإيماناً بالله رب العالمين.. وماذا بعد، هل نحدثهم عن الماء أو السحاب أو الرياح.. أما عن الماء فيقول تعالى في محكم آياته وبالنص القرآني:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥].. والماء هو أساس الحياة كما نرى من هذا النص :

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: ٥٣].

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي

الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ [الزمر: ٢١]

وبعد.. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَلْمَاءَ الَّتِي تَشْرَبُونَ﴾ [٦٨] أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن

الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩، ٦٨].

وعن الرياح والسحاب يقول تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]. وقال أيضاً:
 ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

نسوق ذلك من آيات تبحث في العلم والعلوم لا يقدر عليها لاعالم ولا نبي أمي وذلك لكي يؤمن الذين لا يؤمنون بوجود الله وأن القرآن ليس من قول البشر... وهذا أمر لابد أن يدركه العقلاء من القوم كما جاء في الآية، وما داموا قد وصلوا إلى القمر وهم تفوقوا في العلوم والمعارف فليسمعوا هذه الآية:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وهكذا يمكن القول أن هذا الجيل أوتى من أسباب التوحيد الإلهي الوسائل الكثيرة العلمية منها وتجارب الأولين في العبادات، ومن ثم هذا الكتاب العظيم القرآن، الذي تتسق آياته مع آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم لعلهم يهتدون.. وهذا يؤكد القرآن بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وبعد نقول لمن ران على قلوبهم صدأ الكفر والإلحاد والشرك أن هذه الآيات تدل على صفات الخالق.. التي لا يشاركه فيها أحد فكلها من صنع الله وتدبيره وأعجز على الإنسان إن كان نبياً أو ولياً المسيح عيسى ابن مريم أو محمد ابن عبد الله أو موسى أو غيرهم لأن يأت بمثل ذلك أو يشارك بفعل ذلك ..

وهذه الامور لا بد أن توصل الى الحقيقة الكبرى حقيقة الله الواحد الأحد وهاهو يوحى الى الرسول بمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنِ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤]

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩].

أما الذين يشركون مع الله آلهة أخرى ويؤمنون بتعدد الآلهة نقول لهم قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

وأما الذين يطلبون العون والنجدة من غير الله نقول لهم قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].
وأما الذين يعتقدون بوجود الله ولكن أشركوا به وجعلوا له أبناء نقول لهم قوله تعالى :

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

هذا تفسير منطقي وعقلي لعدم وجود إله أو أبناء أو حاشيه مع الله لأنه لو وجد أكثر من إله لفسدوا في الأرض واعتدى بعضهم على بعض وذهب كل إله بما

خلق وهذه الواقعة إشاره الى إدعاء المسيحيين واليهود في قولهم بالنص القرآني:
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾
[التوبة: ٣٠].

أو قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ﴾ [المائدة: ١٨].
فيقول لهم المولى عز وجل:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ
بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

أما صورة المسيح في القرآن ومكانته فقد ذكرناها في بداية البحث فهو رسول
قد خلت من قبله الرسل. ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء:
١٧٢].

وهكذا نرى أحقية القرآن كمستند صدق في الديانات والرسل والأنبياء وعليه
نرى فيه قيمة الإسلام ومركزه من الديانات الأخرى ولذا قال المولى عز وجل إن
الدين عند الله الإسلام..

الفصل السادس النجريه الاسلاميه

الدين عند الله الإسلام

نعم يكون بذلك الإسلام هو دين الأرض، وإرادة من السماء فقد احتوى كل الأديان برسائله القرآنيه الشامله، من حيث التشريع والحكم والعقيد، وفيه الكلمه المشتركه بين الأديان، والتي كتبت أيضاً في التوراه والإنجيل وكل الكتب السماويه وهي كلمه التوحيد (لا إله إلا الله) هذه هي القاعده الجوهرية في الأديان وهي الوحيدة الصالحه كأساس لحوار الأديان ..

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذا هو المضمون الموحد للرسالات، مكتوب فيها بوضوح ولايستطيع أحد من المسلمين أن ينكر ذلك على التوراة أو الإنجيل فهو مكتوب بالنص القرآني، وأما المشكله الرئيسيه فهي غير مؤكده لديهم بنص واحد لأنها لم تبق-كتبهم على النص الأصلي، التي نزل بها الوحي من الله مباشرة.. وإنما هي مؤكده في القرآن، من هنا نرى وجوب الإعتماد على القرآن خاصة في المسائل الدينيه المختلف عليها بين الأديان لأن الله تكفل بحفظه من أي تبديل أو تغيير..

وعليه مازالت الحقائق الدينيه ناصعة البياض في القرآن الكريم وكلها تقضي الى مضمون الإسلام من حيث التوحيد، وعدم الإشراك بالله، وهذا هو التسليم لرب العالمين والذي أخذ اسم الإسلام ..

ولم نبعد كثيراً فلنرى الأنبياء وهم يهتفون من قبل بالإسلام، فهذا هو إبراهيم عليه السلام أول من كان من المسلمين..

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وكلمة الإسلام تعني التسليم لله وحده لا شريك له، وقد يكون هذا التعبير ناقصاً، فلا أحسن من تعبير القرآن وهو يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقصة الدين الذي ارتضاه الله للإنسانيه شهد به كل الأنبياء وهو بذا يكون الدين المقبول عند الله كما نرى من النصوص القرآنيه: الإسلام هو ملة إبراهيم: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١].

ومن ثم وصى إبراهيم بها بنيه ويعقوب:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ومن ثم وصى يعقوب من بعد ذلك بنيه بالملة الإسلامية ملة إبراهيم بقوله تعالى:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهكذا نرى أن قصة الاديان والإيمان بها تحتاج إلى مستند صدق، لا يرقى إليه الشك كالقرآن وهو خير مستند لهذا الهدف والأمر كما نرى واضح جلي لا يحتاج إلى شرح أو زياده عليه..

والذي يريد معرفة الحقيقة في الآخرة وما يتعلق بها في الحياة الدنيا لابد أن يلجأ للقرآن الذي أبان أن الإسلام هو دين الله..

وهو المقبول في الآخرة عند الحساب والعقاب أما الأخرى خاصة الصحيحة فهي مصدرها الله وهي تدعو للإسلام -كما رأينا- وأما هذه الأسماء فهي من صنع البشر، فالدين عند الله هو الإسلام كما نرى في النص القرآني الآتي: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

والأنبياء دعوا كلهم بدعوة الإسلام، وهاهو يوسف عليه السلام يقول بقوله تعالى:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].

وها هو عيسى عليه السلام يقول بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَكَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وها هو سليمان يدعوا ملكة سبأ الى الإسلام: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

وهكذا، يوضح القرآن أن جميع الانبياء مكلفون من إله واحد لتبليغ رسالة واحده، هدفها واحد وهو التوحيد بالله، رب العالمين.

هذا هو جوهر الديانات الذي احتواه الإسلام ورسمه بأحسن صوره، وكان الأديان —أختزلت في دين واحد وشريعة واحده وكل الرسل والأنبياء جاؤوا بشريعة واحده من عند إله واحد..

﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

حتى فرعون لما أدركه الغرق نطق بالإسلام ولكن بعد فوات الأوان فيقول تعالى:

﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

بشرية الرسول - محمد عليه السلام

وبعد ونحن ندعو بدعوة الإسلام لابد من الإعتراف أن هذا الدين قد تعرض لمحاولات توقيفه بينه وبين الأديان والملل الأخرى حتى أجاز البعض ما أجازته المسيحية الغربية من فصل الدين عن الدولة والحق بركب الحضارة الغربية كبديل، وابعاد الدين عن العلم والمجتمع من أجل التقدم ..

والحق، إن كل تلك المحاولات هي بمثابة تكرار الذي حدث في المسيحية، ودخل على الإسلام غرباء كثيرون أرادوا أن يحتلوا دور بولس في المسيحية، بل وعملوا من أنفسهم طواغيت وأوثان مقربين يشفعوا للناس عند الله..

وكلها محاولات باءت بالفشل لأن هذا الدين هو دين الله وهو المحفوظ بأمر الله من التحريف والزلل، بحفظ دستوره الأبدي القرآن من كل الإنحرافات.. وقد تعرض القرآن لكل هذه الأمور بوضوح شامل لئلا تقول الناس كما قالوا من قبل (المسيح ابن الله) ومن قبلهم اليهود:

(قالوا عزير ابن الله) وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد بالنص

القرآني على بشرية الرسول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وعلى هذا فالرسول بشر ورسول ورجل.. قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] .

وهم كغيرهم من البشر يظنون ظناً في الآراء والأحكام التي ينطقون بها خارج ظاهرة الوحي ومهمة التبليغ فما هو الرسول يؤكد على ذلك فيقول:

(إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلىّ فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من نار). وقصة تأبير النحل أظنها معروفة حين قال: (ما أظن يغني ذلك شيئاً)، ولكن تأبير النحل اعتاد عليه القوم واعترف بنجاعته الجميع فيتدارك الرسول الأمر فيقول: (أنتم أعلم بأمر دنياكم). ويقول أيضاً:

(فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل). صحيح مسلم ١١٨، ١٣٠٠. وعلى هذا فإن ظن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخطأ الهدف وهو يقول أيضاً:

(إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطيء ويصيب ولكن ما قلت لكم (قال الله) فلن أكذب على الله)..

وهكذا يؤكد القرآن، وحتى الرسول نفسه على بشرية الرسول-أي رسول، وأنه لا يجب أن تصل محبته مثل محبة الله-

أو تقديسه مثل تقديس الله أو إلصاق الألوهية على أي شخص كان، كما فعل النصارى مع المسيح واليهود مع عزيز..

لذا أكد القرآن على مثل هذه الأخطاء، وها هو ينبه الرسول إلى مثل ذلك فيقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]. وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْنَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ونفهم من ذلك كله أن الرسول خارج مهمة التبليغ أو ظاهرة الوحي شأنه شأن غيره من البشر، يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون، ويمسه كما يمسه السوء، فلاهو بملك.. ولاهو بآله ولاهو بملك خزائن الأرض. ومن ثم يظهر جلياً في القرآن وضع الرسل الصحيح. فيقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وأما ضمن ظاهرة الوحي فمهمة الرسول تبليغ الناس ما يوحي إليه من ربه دون زيادة أو نقصان، حتى كلمة قل يلفظها كما وردت مثل: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦].

وعلى هذا فإن الرسول في الإسلام لايملك أية صفة من صفات الألوهية، وكل ما يطلب من المؤمن فعله هو اطاعة الرسول فيما أتاه من ربه، وهذا من ضرورات الإيمان لأن إطاعة الرسول..

هي بمثابة إطاعة الله وإطاعة أوامره، فالتكاليف والتشريعات التي يأت بها الرسول، هي أوامر إلهية لا بد من الإمتثال لها وعليه (ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله).. وعلى ذلك اتضحت معالم الطريق السوي التي تجمع الأديان على أمر واحد وعرضنا ذلك بالنماذج القرآنية، من مثل حقيقة وجود الله وكيفية الوصول لهذه الحقيقة، وبيّنا طرق ذلك وأهمها من آثاره الدالة عليه في الكون ومقارنة ذلك مع آيات القرآن..

والتي تتسق مع آيات العلم وحقائقه في الكون.. وعليه نرى آثار الله في كل ذرة من حياتنا..

في طعامنا ومائنا وشرابنا وفي الأرض وفي السماء، كل ذلك ينطق ويسبح بحمد الله وعليه : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وطريق التوحيد به مائله في وهج الشمس وضياء القمر، في ظل الشجر وفي علوم القرآن وآياته، لابل في كل سطر من سطوره لابل في الفاصله، وفي النقطه التي مابرحت محتفظه بمكانها الذي زرعت فيه منذ أربعة عشر قرناً، وبعد نقول لأصحاب العقول ..

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

التجربه الإسلاميه في أوروبا

من بين المقولات التي روج لها المبشرون أن الإسلام ما انتشر ولا وصل الى أوروبا وحدود الصين إلا بالسيف والقتل والحرب والإرهاب، وأن سمة الحرب والقتل سمه رئيسه في المنهج الإسلامي في سبيل نشره بين الأمم، يقول توماس كارلايل في كتابه (الأبطال):

حين الحديث عن النبي: (إن اتهمه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الإستجابه لدعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل سيفه ليقاتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته ..)* (١).

وفي معرض تفسير المنار لقوله تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) يقول الإمام للرد على من يزعم أن الإسلام قد قام بالسيف فيقول: كان معهوداً عند بعض الملل لاسيما النصارى حمل الناس على الدخول في دينهم

(١). ظاهرة انتشار الإسلام /محمد فتح الله الزيايدي/ص ٢٠٣

بالإكراه وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين لأن الإيمان و أصل الدين، وجوهره عبارته عن اذعان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه وإنما يكون بالبيان والبرهان. (١)

جاءهم الإسلام بالمجادلة الحسنه

فالزعم المذكور لا أساس له من الصحة، لأن الآيات القرآنيه واضحه في هذا السياق، وكلها تدعو الى المجادله الحسنه واللين - في الوعظ والإرشاد واتباع سبيل الفكر والبرهان - والقرآن هو الذي أشار أولاً الى الدليل العقلي، والبرهان كأساس جوهري..

للمجادله والحوار.. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[النمل: ٦٤]. وقبل ذلك قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال أيضاً: (وجادلهم بالتتي هي أحسن). ودون تسلط أو قسوه وهو الذي قال أيضاً: (لست عليهم بمسيطر)..

لأن من يؤمن فإنما يؤمن لنفسه فانه غني عن العالمين وهو الذي قال:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].. هكذا كان لسان المسلم يلهج

ليل نهار وهو يبشر بدينه بين الأمم والشعوب، كان القائد فيهم كما الفرد، يعلم ذلك علم اليقين ولبث الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر بالدين الجديد بين قومه.. سنوات وسنوات باللين والموعظه الحسنه، فهذا مبدأ أساس من مبادئ الإسلام،

حتى قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

(١). الفكر الديني في مواجهة العصر / عفت الشرقاوي / ص ١٦١

ويوم جاء الرسول نبياً ورسولاً للعالمين لم يكن يملك من متاع الدنيا شيئاً ولا من عددها أشياء، فلا يملك العدد والعدة..

وفوق كل ذلك عرض عليهم الدخول في الإسلام وهم يملكون ناصية الدنيا كلها يملكون العظمة والقوة والصولجان ..

رسائل الرسول الى ملوك الأرض والردود عليها

وبعد تعالوا نقرأ عن رسائل الرسول الى عظماء الدنيا ساعنتذ، لنرى كيف بدأ الرسول خطابه الى العالمين وكيف كانت دعوته للإسلام، هل هي بالسيف وحده أم بالإقناع والحوار والمجادلة الحسنه ومن ثم كيف كانت الردود عليها:-

هرقل عظيم الروم يقول: هو والله الذي بشر به موسى وعيسى الذي كنا ننتظره وهو كما نعلم من علماء النصرانية..

أما رسالة الرسول الى ملك الفرس والتي حملها شجاع ابن وهب فهي تحمل النص الآتي: إني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وقد أثار الكتاب في نائب كسرى في اليمن فأسلم وكان فارسياً..

*أما كتابه الى النجاشي، ملك الحبشه فكان له أثر كبير في نفس الملك العظيم لأنه علم أن ما في رسالة محمد ورسالة المسيح الصحيحه، هو واحد لا بل ينبعان من سراج واحد، ولولا علمه بانتهاء مهمة المسيح ورسالته ومجيء رسول من بعده اسمه أحمد..

لما أسلم وهو الذي قال -أشهد أنك رسول الله مصداقاً صادقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين..

*أما كتابه للمقوقس عظيم القبط، وكان حامله حاطب ابن بلتع، فقال المقوقس أن هذا النبي لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده

بالمساحر الضال، ولا الكاهن الكذب، وقال لعمرى ما بشارة موسى بعبسى إلا كبشارة عيسى بمحمد.

هكذا يمكن أن نفهم الرسائل السماوية والأديان، وكأنها حلقات في سلسلة يتبع بعضها بعضاً، ومن ثم كان الإسلام هو كامل السلسلة..

أما المعارك التي خاضها المسلمون فهي من قبيل الدفاع عن النفس في مواجهة الشرك والإلحاد -الذين تحالفوا ضد الإسلام والمسلمين، فأنه لابد أن يتم نوره ولوه كره المجرمون والمشركون بالله العظيم. من هنا فرض الله القتال على المسلمين وهو كره لهم، لرد قوى الشرك والإلحاد عن ضلالهم ولردعهم، وهم من قبل الذين أخرجوا الرسول ومن معه من ديارهم وأموالهم.. لذا أذن الله لهم بالقتال..

وفي وصايا القادة العسكريين في الحروب أكبر دليل على الحروب المقدسة التي خاضوها، فهي لله وفي سبيل الله، لا من أجل التنفيس عن حقد يملأ الصدور، ولا من أجل مال أو غنائم ولا من أجل انتقام أو ثار، بل هو في سبيل نصره دين الله في الأرض..

أو هو من قبيل الدفاع عن النفس. ولنسمع وصايا القادة في الحروب الإسلامية.. أما وصايا الرسول فمنها: عن أنس رضي الله عنه- قال إن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقول للقادة:

انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله .. فهذا قتال من أجل نصره الدين والعقيدة.. ((ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا)). وهذا أمر يُعد مفخرة في شريعة الحروب المقدسة، وكان الإسلام أول من أرسى أسس الحرب المشروعه وقوانينها العادلة فيقول لهم:

(وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) .. وهكذا، لا يظهر أي مستند من وصايا الرسول يدل على سمة الإسلام في الإرهاب والعنف بل الهدف نصره الله والإحسان والإصلاح فإن الله يحب المحسنين. وهذه الوصية نفسها تقريباً التي قالها لعبد الرحمن ابن عوف حين أرسله الى دومة الجندل.. أما عن حرية الأديان ومجادلتهم بالتي هي احسن فيقول: (ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدأ ولا امرأة ولا كبيراً ولا فانياً ولا منعزلاً في صومعه).

هذه كلها تبين أن دعوة الإسلام لابل الحقيقة الإسلامية ما انتشرت إلا باللين والمجادلة الحسنه فإن لم تأت بذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. أما الذين يتصدون للدعوة الإسلامية بالسيف فلا جدال معهم إلا بالسيف، قال تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦].

ومن ثم الإسلام جاء بالحرية

وهكذا كان ديدن الإسلام في نشر رسالته القرآنية، المسلم الفرد والقائد العسكري والخليفة.. وقبلهم الرسول صلى الله عليه وسلم، عرفوا ذلك ووضعوه نصب أعينهم في نشر رسالة القرآن بين الأمم كيف لا وقد جاء رحمة للعالمين.. وفعلاً كان رحمةً وهدى للأمم والشعوب، وقد خلصها من الأوثان والطواغيت، ورفع، عن المظلومين قيود الحكم والجاه والسلطان أمثال فرعون وقارون وهامان...

نعم خلصهم من شياطين الإنس وكوابيس الخرافات والأباطيل التي زرعتها المشعورون والدجالون في النفوس وأعطاهم درساً في اللطف واللين والرحمة والعدل وخلصهم من قوى الظلم والعدوان..

وفوق كل ذلك جاءهم بالحرية والإنطلاق وكل ما دعاهم اليه هو الإيمان والتوحيد بإله واحد. ودين واحد.. وعليه أنار دروب المظلومين وسط العتمة، وسأوى بين الفقراء والأغنياء، وأحيا البشريه بعد موتها وأخرجهم من الظلمات الى النور..

حتى بالمقاييس الماديه -لا الروحيه، وهي المقاييس التي يزنون بها قيمة الأشياء، نعم حتى بهذه المقاييس، لم يفعل لهم الإسلام إلا كل الخير، والأمم وتاريخها يشهد بكل ذلك..

لابل الدرس الأول في الحرية -تلقوه أول ماتلقوه هناك في الأندلس، على يد القاده المسلمين الذين خلصوا الناس من الخرافات والأغلال بأنواعها وأشكالها المختلفه، وأطلقوا يد الإنسان في الحقل وفي المعمل وفي المدينه وفي القرية، حتى تحولت القرى والشعاب الى عمل متواصل..

هكذا كانت الحرية في عرف الإسلام وتقاليده المسلمين، وهم يروجون بغير ذلك، لأن الحرية عندهم، ربما تكون التخلص من الأديان وقيودها التي جربوها من خلال الممارسات التي لم تكن من أصل الشرائع في شيء، ولكن إن حصل ذلك حتى عندنا فهذه أمور طارئه لا تدخل للأديان فيها فهي ليست من شرائع السماء بل من شرائع الإنسان من أجل الإستغلال..

وعليه لايجب أن ينعكس ذلك على شريعة القرآن.. الذي جاء بالحرية الخاصه في العلم والعمل والإعتقاد وجعلهم يسيرون على صعيد اعتقاد واحد والإيمان فقط بإله واحد..

فالحرية التي علمها الإسلام للبشريه، كل متكامل، للناس بمختلف ألوانهم وأجناسهم وصفاتهم، وحيثياتهم، والناس عند الإسلام سواسيه كأسنان المشط..

نعم كل ذلك يعترف به أي محايد لايهمه في الحكم إلا العدل ولاشيء غير العدل وهناك الكثير من لهج بهذا واعترف لأهل الفضل بفضلهم ولأمانة لنا في ذلك فهو من فضل الله علينا..

الإسلام جاء بالعلم والمدنيه

نعم الإسلام، جاء بالعلم والمدنيه والحضاره بأسمى معانيها وأحسن صورها، وهذه الآثار ما لبث يلهج بآثارها البقية الباقيه من مفكريهم الغير حاقدين على الإسلام والمسلمين..

وحتى بعد خروج العرب من الأندلس لم ينقطع الحوار والتواصل العلمي بين الطرفين - فبقيت اللغة والارقام وسيله فعاله لهذا الحوار حيث تقول المؤلفه زيغريد هونكه:

(ولدينا دليل على كل هذا في تفسير (آدم ريزا) للأرقام الرومانيه بالأرقام العربيه ليسهل على الناس فهم الأعداد الرومانيه.. وبقيت الأرقام العربيه تفعل فعلها في بلاد الغرب وقامت بدورها في العلوم والرياضه والإقتصاد على مر الأيام خير قيام* (١)

وتورد المؤلفه عن روم لاندو(من كتابه الإسلام والعرب) هذه السطور: ولقد كانت الخدمه الرئيسيه التي أسداها العرب في هذا الحقل هي استخدام الصفر(الفراغ) كما دعاه العرب.* (٢)

(١). انظر/ شمس العرب تسطع على الغرب/ص١٠١/زيغريد هونكه

(٢). نفس المصدر ص١٠٩

وفي مكان آخر تقول: لقد كان العرب أساتذة خلاقين في علم الرياضيات..
١٥٦ وتذكر بعض العلماء الذين أثروا الحضارة الغربية ومنهم: ابن سينا-الذي
برع في في الرياضيات والفلك-١٦٢

وأما الفارابي: فقد كان فيلسوفاً رياضياً فذاً ذائع الصيت وتقول أنه لمن
المستبعد جداً أن تكون نظرية الفارابي وابن سينا في الاحجام اللامتناهية الصغر
هي التي أمدت اعلماء الغربيين..

فيما بعد وعبر القرون بنظرياتهم في الذرة.. وربما هي تقصد في ذلك أنهم
وضعوا الأسس الأولى لذلك.. وتقول كلمه جامعه في هذا الصدد: أن أرقام العرب
وآلاتهم التي بلغوا بها حداً قريباً من الكمال، وحسابهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات
الدائرية وبصرياتهم الدقيقة -كل ذلك أفضل عربيه على الغرب ارتقت بأوروبا الى
مكانه -مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصه من أن تنزع العالم في
ميادين العلوم الطبيعیه..^(١)

تقول هونكه في كتابها: ..خرجت الى الوجود موسوعه طبيه ضخمة،
استعملها الأطباء الاوروبيون خلال مئات السنين ككتاب للتعليم.. وكان واضح تلك
الموسوعه الهائله رجل ذاعت شهرته في الأفاق حتى أنه لقب باعظم طبيب في
القرون الوسطى إنه: الرازي.. وتقول عن الرازي -هو الموسوعي الشمولي الذي
استوعب كل معارف سالفه في الطب وهضمها وقدمها من قبيل التواصل
الحضاري للإنسانيه-كما تقول أحسن تقديم..^(٢)

وتقول عن ابن سينا هو أعظم معلمي الغرب في الطب -في مدرسة الطب
بباريس لمدة سبعمئة عام.^(٣)

(١). هونكه /١٦٣

(٢). المصدر نفسه ٢٥٧

(٣). المصدر نفسه /ص ٢٩٠

وعن ابن الهيثم تقول: ولد في البصرة (٩٦٥-١٠٣٩) وهو من علماء العرب في الرياضيات والطبيعات من مؤلفاته (المناظر) وكان له أثر في معارف الغربيين و(كيفيات الإضلال) وغيرها.

وعن جابر ابن حيان تقول: كان متقدماً في العلوم الطبيعیه بارعاً، منها صناعة الكيمياء وله فيها تأليف كثيره ومصنفات مشهوره ومن مؤلفاته (كتاب السبعين) (كتاب الخواص) (كتاب السموم) وكتب كثيره أخرى.

وفي الواقع تورد اسماء كثيره غير ماذكرنا ولكن لانستطيع أن نمر على كل الأسماء لكن يمكن الإشارة الى ابن رشد وابن النفيس والبتاني وغيرهم كثير ممن أثروا الحضاره الإنسانیه وخاصه الغربیه وهنا كلمه يقولها أحدهم: (هو) اغريبافون نتيسعايم^(١).

(..لذا استقبلت كتب ابن سينا والرازي وابن رشد بالثقّه نفسها التي استقبلت بها كتب أبوقراط وجالينوس ونالت حظوه قصوى عند الناس الى درجه أنه اذا محاول امرؤ ما ممارسة الطب دون الإستناد اليها اتهم على أهون سبيل بالعمل على الإضرار بالمصلحه العامه..

وفي مراكز العلم الأوروبيه*^(٢)، لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء الاومد يديه الى الكنوز العربيه هذه يغرف منها ماشاء الله له أن يغرف وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذاب.. وتتابع القول:

ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك الا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من ينباع العربيه.. وأنا أقول أليس في هذا هو

(١). شمس العرب تسطع على الغرب/ هونكه /ص٢١٣

(٢). المصدر نفسه /ص٣٠٥-٣٠٦

قمة الحوار الفكري - الإسلامي المسيحي والتواصل الحضاري المملوء بالتسامح أو التعارف الأصيل بين الأفكار..

فأخذوا يترجمون كثيراً من المخطوطات العربية الى اللاتينية، وجاء كثير من العلماء من جميع أنحاء أوروبا ليتعلموا العلوم الإسلامية وليقرأوا ترجمه العربية للمؤلفات الإغريقية.

هذا واحد منهم يشهد بفضل العرب والمسلمين على أوروبا إثر تجربتهم الفذه في تلك البلاد، وهامي تظهر الحقائق أمام الدارسين الجادين والمحايدين منهم..

أما قوى الظلم والإستغلال ودعاة الصليبيه فقد قالوا عن الإسلام غير ذلك، قالوا عنه جاء لأوروبا بالكره والإجبار وعلى حد السيف، وقالوا عنه أيضاً: إنه دين التخلف والماديه، رغم الذين شهدوا لنا بغير ذلك.. كما رأينا، ونرى من كتاباتهم فيقول هامبولدت: (١)

ان العرب هم واضعوا أساسات العلوم الطبيعيه بمجملها، ولعل في المقارنه التي يضعها سيد أمير علي في كتابه روح الإسلام عن مركز وأهميه العلم في المسيحيه وعهودها المختلفه وكذا الإسلام وفي بقاعه المتعدده وسيما حين دخل في تجربته -البلاد الأوروبيه..

نعم نقول لعل في تلك المقارنه أكبر دليل على سماحة الإسلام وسعة آفاقه في شتى الصعد الحياتيه -الإجتاعيه والسياسيه، واخيراً العلميه، فيقول عن العهود المسيحيه ونظرتها للعلم والعلوم والمتعلمين.. ما مفاده بإيجاز: في عهد قسطنطين أغلقت معاهد الدراسه الى الأبد* (٢). أما على صعيد المكتبات فقد تبعثرت أو جرى حرقها..

(١). انظر /روح الإسلام/ سيد أمير علي ص ٣٥٧

(٢). انظر روح الإسلام، سيد أمير علي / ص ٣٥٧

وأما على صعيد العلوم بشكل عام فيقول: كانت تعتبر من السحر ويعاقب متعاطوها بتهمة الخيانة، أما عن الفلاسفة والعلوم الطبيعية بشكل خاص فقد تم استئصال شأفتها من الأساس.

وفي خضم هذا الجو المعاكس للعلوم والمعرفة والحرب الشعواء التي فرضتها الكنيسة على العلوم والمتعلمين ومكتباتهم ومن ثم قامت بحرقها، كما أحرقت مكتبة بلاتين، بحيث لم يبق في أوروبا إلا المذهب الميثولوجي لقرون عديدة.. في هذا الوقت كان يشع الإسلام بنوره الساطع على الأمم والأمصار ويرسي أسس وقواعد العلم على مرتكزات خالده وبأحاديث وآيات لا تمحى عبر الزمن. ومن أحاديث الرسول عن مكانة العلم والعلماء قوله:

((تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة..)).

بمثل هذا كان الإسلام يضع أسس حضاره جديده، وإن حدث بعد ذلك تطور في العلم والعلوم فهو ولا شك بفضل الإسلام والمسلمين.. ويتابع سد أمير علي في المقارنه بين العهود الإسلاميه وتجربتها في أوروبا، وغيرها من الأصقاع-والعهود المسيحيه من حيث العلم والعلوم فيقول:

((وفي وقت كانت أوروبا تعتقد بأن الارض منبسطة وأهلها يحرقون كل من يعتقد غير كل ذلك، كان العرب من الجغرافيين يدرسون علم الجغرافيا عن طريق افتراض المدارات الكرويه للأفلاك ويتابع فيقول:

((وحين كانت أوروبا المسيحيه تسترض الشياطين وتعد خرق القماش من آثار القديسين وعظامهم، في هذا الوقت كانت العلوم والمعارف تزدهر برعاية الحكام المسلمين وينظر اليها بما يشبه التقديس..^(١)

(١). انظر روح الإسلام سيد أمير علي ص ٣٨٨

أما عن تجربته الإسلامية في إسبانيا فيقول سيد أمير علي في روح الإسلام: (١)

((في إسبانيا دمرت المسيحية الحياة الثقافية للشعب فبعد أن كان المسلمون قد حولوا إسبانيا إلى حديقته غناء للعلم جاءت المسيحية فجعلتها صحراء قاحلة، ويتابع القول:

((والمسلمون قد زينوا الحواضر بالكلليات والمدارس وحولها المسيحيون إلى كنائس لعبادة الصّور والقديسين..

وأحرقت الكتب، وبعد ذلك كان الختام والجزاء كجزاء سينمار إذ قوبلت أعمالنا وحضارتنا وما فعلناه هناك..

بالنكران والجحود والتعذيب والحرق والقتل.. ويتابع المؤلف القول في المشهد الأخير لحياة المسلمين في الأندلس يقول:

أما المسلمون رجالاً ونساءً وأطفالاً أبرياء فقد أحرقوا وذبحوا أو عانوا غير ذلك من التعذيب..

أما من بقي حياً فقد جادت عليهم المسيحية بالإسترقاق، وقد هرب البعض وقذفتهم أمواج الشاطئ إلى بر أفريقيا. (٢)

وشهد شاهد منهم

قال رجاء جارودي، الذي أسلم أخيراً عن قناعة واقتناع ودون إجبار أو إكراه - قال :

في كتابه الذي سماه (الإسلام الحي)* (٣)

(١). انظر روح الإسلام، سيد أمير علي ص ٣٨٨

(٢). انظر المصدر نفسه ص ٣٨٨

(٣). مقارنة الأديان /محمد عزت الطهطاوي/ ص ٣٨٨

أن في الإسلام الحل الامثل لمشكلات البشريه المستعصيه والتي لم تستطع أن تحلها الراسماليه الغربيه أو الماركسيه الشرقيه ويذكر اسباب ذلك - في نفس الكتاب، ووضع كتاباً آخر بعنوان (الإسلام دين المستقبل)..يقول فيه:

وهو كتاب يعمل على اظهار الإسلام كوجود ومستقبل وهو ليس كتاب تاريخ- أي ان الإسلام يكمن في مستقبلنا اكثر مما يكمن في ماضينا لأن الإسلام لم يكن يكتفي بجمع الثقافات العالميه بل عمل على اخصابها ونشرها من بحر الصين الى المحيط الأطلسي ومن سمرقند في وسط آسيا الى تومبكتو في غرب أفريقيا..

وقدم لإمبراطوريات متفككه ولحضارات محتضره حياه جماعيه جديده، ورد للبشر ولمجتمعاتهم أبعادها البشريه والإلهيه المميزه وروح الجماعه والتسامي.^(١)

ويعزو ذلك الى شمولية الطرح الإسلامي بحيث تعالج حالة الإنسان الشامله الماديه والروحيه. وازاء ذلك هو يضع نقصاً في الطرح الرأسمالي والماركسي فيقول بمامعناه، أين نمو القيم والأخلاق- فيها والمعاملات والسعاده، وبالأحرى أين النمو الروحي؟؟.. أو أثر الدين فيها.. وأنا أقول من جانبي أين هي مجهودات المبشرين والمستشرقين؟ أليس حري بهم أن ييشروا بحقيقه دينهم، على الأقل في ربوع بلادهم التي لفظت تعاليم الدين جانباً وفصلته عن الدوله، وكأنها نزعت آخر التعاليم المسيحيه عن تصرفات المسؤولين والأفراد، وكل ذلك بسبب شطط وغلو الكنيسه فيما سبق - كما يقولون..

فبدل أن يبحثوا عن الحل الجذري لمعضلة الأخلاق والضمير والقيم الروحيه التي طمستها تعاليم الكنيسه فحلت محلها صكوك الغفران والإعتراف بالذنوب من أجل الغفران، الى غير ذلك من بدع وأهمها محاربة العلم والعلماء..

(١). المصدر نفسه /ص ٢٨٨

نعم بدل ذلك وتحت وطأة الظلم الذي أصاب الناس من غلو الكنيسة، بدل ذلك انفصلت بقية تعاليم المسيح تماماً عن الدولة، فأصبحت بلا روادع أخلاقية، ولا قيم روحية.

وهذا أمر أدركه رجاء جارودي، الذي ضاقت به الأرض الغربية وتعاليم ماركس ولينين الشيوعيه وتعاليم بولس في المسيحيه من قبل فهجر ذلك كله الى تعاليم الإسلام.

الذي لاكره فيه ولا اجبار فيه يتحرر الإنسان من الأغلال والقيود، وهو الذي يجد فيه الإنسان ضالته في العلم والأخلاق والروح والقيم..

وجارودي هذا الذي نوليه هذا الإهتمام لأنه بمثابة شهادة صدق من اهلهم وهو جرب المسيحية تاره وجرب المذاهب الوضعيه تارة أخرى، فلم يجد أحسن من تعاليم الإسلام في اشفاء غليله..

حتى ذهب الى القول عن مصير العالم إن هو بقى في أيدي الطغاه والذين لادين لهم نعم قال:

إن العلم بذلك يملك وسائل تدميره بنفسه مئات المرات دون نمو في الضوابط والروادع الأخلاقية.. أما الماركسيه التي اعتنقها فيقول عنها وقد جربها هي الأخرى:

أنها أي الماركسيه ترتكب نفس الخطأ ولكن بأسلوب آخر، فاعتمدت النمو المادي، مقياساً للتقدم ومعياراً للسعادة.

وعليه فالمبشرون كما نرى لم يحملوا معهم مبادئ المسيح كما يدعون، ولكن هم يحملون زيف وأباطيل الرأسماليه أو الشيوعيه الملحده من أجل أهداف مادية بحتة خاليه من القيم الروحية.

وإن كان غير ذلك كما يدّعون -فهم لا يملكون حقائق المسيحية الأصلية -كما رأينا- حتى ينشروها ويبشروا بها الأمم، وإلا لما لفظها هذا المفكر الفرنسي العريق والمتبحر في هذا المجال، ومن ثم يدخل دين الله، الإسلام والذي قال نتيجة هذه الرحلة الطويلة:

هناك رساله واحده أبديه وخالده في هذا الكون وقد جاءت النبوات المتعدده في مراحل مختلفه لتقدم الأشكال المناسبه..

من تلك الرساله الواحده، كل في مرحلته وبطريقته وأسلوبه، والإسلام يقر بوجود هذه الرساله الواحده وينطلق منها ويعمل لإكمالها).

وجارودي ليس وحده الذي اقتنع بمسيرة الإسلام ومبادئه، ولكن الكثير ممن ابتغى الحقيقه وسعى سعيها قد وجدوها ناصعة في هذا الدين العظيم، فكان سعيهم مشكوراً، وكل من سار على هذا الدرب فإنه واصل لامحاله وستزول كل الحجب التي روج لها المبشرون والطغاه عن هذا الدين، والذين هضموا حقوقه ولم يتناولوها بالجد والحياد، كما قال جارودي:

(لقد استطاع الإسلام انقاذ امبراطوريات عظيمه من التفكك في القرن السابع من حقبتنا.. ويتساءل فهل في امكانه في يومنا هذا أن يقدم اجابه على قلق وتساؤلات حضاره غريبه أظهرت في اربعة قرون أنها قادره على حفر قبر على مستوى العالم وأن تهدم ملحمة بشريه بنيت منذ مليونين من السنين بغبداعات جديده وتضحيات من البشر.. ويقول إن الإسلام دين أمه وإيمان ونظام حياة متكاملين*)^(١).

(١). انظر/مقارنة الأديان /الطهطاوي /ص ٣٨٩

وهذا موريس بوكاي الطبيب الفرنسي:

الذي كتب عن القرآن والتوراه والإنجيل.. رغم أننا لم نسمع أنه قد أسلم فإنه فاعل ذلك لامحاله فقط إذا طرح جانب الخوف من بني جلدته -جانباً، وإن لم يفعل فكفانا منه الحقيقه، إذ يقول: (١)

لا يمكن القطع بثبات نصوص العهد الجديد -الإنجيل- والعهد القديم التوراه.. مما يؤكد أن الأيدي البشريه حرقت كثيراً من حقائق دينك الكتابين المقدسين، ويقول أيضاً:

وهناك فرق آخر جوهري بين الإسلام والمسيحيه، فيما يتعلق بالكتب المقدسه ونعني بذلك فقدان نصوص الوحي الثابت لدى المسيحيه، في حين أن الإسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معاً، فالقرآن هو الوحي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل ..

أما الإنجيل -كمايقول- أو الكتاب المسيحي المقدس فإنه يختلف بشكل بين عما حدث في الإسلام فيقول:

انه يعتمد على شهادات بشريه متعدده وغير مباشره ولانملك مثلاً أي شهاده لشاهد عيان لحياة عيسى* (٢).

حتى بالمقارنه مع العلم في العصر الحديث يقول: وبفضل دراسه الواقع للنص العربي ادركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابله للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث..

(١) . القرآن والتوراة والإنجيل والعلوم/موريس بوكاي ص ١٠

(٢) . القرآن والتوراة والإنجيل/ موريس بوكاي/ص ١١

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والجديد، فمثلاً ومباشرةً يقدم لنا انجيل لوقا أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثه الخاصه بقدم الإنسان على الأرض ورغم ذلك يقول -لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله*^(١). وهكذا.

وازاء ذلك: الأخرى بالمبشرين والمستشرقين الذين يريدون الحقيقة لذاتها نعم كان الحري بهم وهم قد عرفوا التراث الإسلامي على حقيقته والقرآن الكريم وصدقه بالإضافة أنهم التصقوا بالعادات الإسلامية وعرفوا الكثير عنها، أن يخلعوا عنهم حجب الضلال وظلمات الأباطيل فيدخلوا في دين الله أفواجا، ليخرجهم من الظلمات الى النور..

وتبقى في شهاداتهم، أكبر النفع وأنجع الدليل على حقيقة ماؤمن به وزيف ماؤمنون لينتصر الحق بعد ذلك ويزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

ساعتها يكون فعلهم وهم من الغرب، وفعلنا ونحن من الشرق يصب في معين واحد هو خدمة الحق الذي جاء به الإسلام - هو رساله لكل العالمين، والحق الذي جاء به لا يعرف الحدود ولا الجنسيات، لأن الحق واحد، وهو إعلان كلمة الله الواحد في مشرق الأرض ومغربها، ومن ثم تبقى كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى..

وهناك مفكرون آخرون فهموا حقيقة الإسلام فأسلموا لله رب العالمين، ودخلوا في دين الله أفواجا، من شتى الأمم والأجناس وهذا أيضاً دليل آخر على صدق الحقيقة الإسلامية .

(١). المصدر نفسه ص ١٣

ليبولد فايس النمساوي الذي دخل الإسلام وسُمي بمحمد اسد.. لقد قادني البحث عن أسباب الاختلافات السائدة في المجتمعات الإسلامية والأوربية، الى الحقيقة الإسلامية والمجتمع الإسلامي الإنساني الصحيح البعيد عن الصراعات الداخلية والمركز على أكبر قدر من علائق الأخوة.. والمبشر النمساوي هذا الذي اعتنق الإسلام باسم محمد أسد لم يكتف بهذا القدر بل أخذ يبشر بهذا الدين ووضع كتاب (الإسلام على مفترق الطرق)، والطريق الى مكة وترجم القرآن الى اللغة الإنجليزية.. وقد كشف في كتابه الإسلام على مفترق الطرق أباطيل المبشرين الغربيين وتزييفهم للحقائق الإسلامية ومنها قولهم:

(لقد استقرت في عقول الأوروبيين أن دين الإسلام دين شهواني وعنف حيواني)..

هذا ومثله كثير ولكن نكتفي بهذا القدر من شهادة أولئك الذين أسلموا منهم ففي شهادتهم أكبر دليل على حتمية انتصار الحقيقة الإسلامية في أي حوار مع أي كان.

وبعد؛ حين انتضحت معالم الطريق أمام المفكرين المسيحيين أو نفر منهم سلكوا في دين الله أفواجا، ولم يروا غضاضةً من إعلان ذلك على الملأ، كيف لا والمسلم حين يلج باب الإسلام، فإنه لا يخشى في الحق لومة لائم فهم ما أن دخلوا الإسلام حتى تحولوا الى قوه روحية خارقه لانهاب كائناً من كان، وهم لم يفعلوا ذلك طمعاً في مال وهم وبلادهم في غنى عن المال، ولا طمعاً في شهره وهم مفكرون مشهورون في غنى عن الشهره، ولا طمعاً في قوة ومجد المسلمين، والمسلمون في أضعف حال، إن كل ما يهدفون اليه هو الإنضواء تحت لواء الحق والحريه، قبل فوات الأوان، والدفاع عنهما، وهو حقهما في ذلك، كما هو حق المسلم الأول فيه.

وهذا الأمر ليؤكد أن لاصراع بين المسيح ورسالته من جهة وبين محمد ورسالته من جهة أخرى، وإنما الصراع هو صراع بين الحق والباطل، سواء كان صراعاً داخلياً أو صراعاً خارجياً.. ومن ثم كان الإسلام (المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الإلهية ومنادياً لهم بالعودة الى جوهر التوحيد الذي هو أصل الديانات السماوية، ولاجدال في أن التوحيد هو أشرف العقائد الإلهية وأجدرها بالإنسان في أرفع حالاته العقلية والخلقية)*^(١).

وتبقى الحقيقة أن محمداً هو خاتم الرسل جاء بخاتمة الرسالات وأنها ناسخه لما قبلها من الرسالات، مثلاً لايجوز الإزدواجية في القوانين الوضعيه..

فما دامت التوراه الصحيحه منصوص عليها بالقرآن وكذا مثل ذلك في الإنجيل فلا داعي إذن لرسائل وكتب متعدده.. وقد احتواها كلها القرآن الكريم فكلها من مصدر واحد واله واحد، ولو كان معه آلهة أخرى..

لفسدت الأرض ولعلى بعضهم على بعض ولذهب كل إله بما خلق وعليه فإن الله واحد لا شريك له في الملك والقرآن والإنجيل والتوراه -كما يخبرنا القرآن- قالوا بذلك..

لا بل كلها جاءت بكلمة سواء مشتركه بين كل الشرائع، وكلها ترنوا للعدل في الحكم ونبذ الوثنيه الماديه وترك الشهوات وابتغاء مرضات الله في ذلك ..

هذه شريعة السماء وغيرها فهو ضلال الأرض..

(١). انظر/ الميزان في مقارنة الأديان /محمد الطهطاوي/ص٦٢

مظاهر الحوار والتواصل الإسلامي المسيحي

تواصل الحوار العلمي والفكري بين المسلمين والمسيحيين عقب كل مرحلة من مراحل الصراع.. وهذا التواصل والتعارف ليس غريباً إذ جاء في القرآن نص خالد يأمر بالتعارف بين الناس - دائماً في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعن التسامح الديني بين الأديان تقول المؤلفة هونكه^(١):

عندما دخل العرب الإسكندرية عام ٦٤٢م لم يكن هناك منذ زمن طويل مكتبات عامه كبيره وأما مآلاتهم به قائدهم عمرو بن العاص من احراقه لمكتبة الإسكندرية، والذي يعبر به حتى اليوم عن صوره مفزعه للبربريه والوحشيه فقد ثبت أنه مجرد اختلاق.

وتقول المؤلفة إن عمرواً فاتح الإسكندرية هو نفسه عمرو الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته، وحرّم النهب والسلب والتخريب على جنوده وعمل ماكان غريباً عن فهم الشرقيين القدماء والمسيحيين على السواء لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائهم الدينيه المتوارثه ..

واليك نموذج عقد صلح مع الشعوب المنهزمه على تلك المعاني: هذا الإتفاق يشمل كل الرعايا المسيحيين، كهنةً ورهباناً وراهبات، وهو يضمن لهم الحماية والأمن اينما كانوا حسب مشيئتهم وبالمثل يحمي كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم المقدسه...الخ

(١). شمس العرب تسطع على الغرب/ هونكه/ص٣٦٢-٣٦٣

ومن جانب آخر

في الثامن عشر من فبراير عام ١٢٢٩م مدّ الشرق للغرب يده مصافحاً وأمام هرمان فون سالتزا وتوما الاكوينى قال السلطان الكامل:
(اقسم بالله العظيم وبقلب ونية سليمة أن أنفذ كل ما اتفقنا عليه في هذه الوثيقة والأأحنث بقسمي..وفي الساعة نفسها أقسم فردريك الثاني قائد المسيحيين في معسكره قرب يافا بين يدي فخر الدين يمين احترامه للإتفاق مؤكداً قسماً بقوله (إنه سيأكل لحم يده اليسرى إن هو حنث بهذا القسم العظيم).

وبهذا تم السلام بين الشرق والغرب دون حرب أو سلاح، وحقق فردريك الثاني ما عجزت عن تحقيقه الحروب الصليبية.. وبقي بيت المقدس مدينه مقدسه لأبناء الديانتين على السواء وتتابع هونكه في كتابها القول:

أو لم يقل صلاح الدين لريشارد قلب الأسد (إن بيت المقدس مدينه مقدسه بالنسبه إلينا ونحن نقدسها أكثر منكم لأنه منها بدأ الرسول اسراءه ليلاً الى السماء وهناك اجتمع الملائكة من حوله) لذلك وجب ان يحتفظ المسلمون بقبة الصخره والمسجد الأقصى وسمح للمسلمين بزيارة بيت لحم المسيحيه وفرض على الحجاج جميعاً مسلمين ومسيحيين - أن يراعوا مشاعر بعضهم بعضاً لافرق بين مسلم ومسيحي.. وبهذا الإتفاق كانت بداية لعصر جديد بالنسبه للغرب وهذا ولاريب يتناقض مناقضه تامه عقلية الحروب الصليبية كما تقول المؤلفه في كتابها..

وفي هذا الجانب يرصد موريس بوكاي * (١)

العوائق القائمة بين المسلمين والمسيحيين بعناصر جوهرية أهمها:

١- أن المسيحيه لاتعترف باي وحي جاء بعد المسيح وحوارييه ولذلك فهي تستبعد القرآن.

(١). القرآن والتوراة والإنجيل/ موريس بوكاي/ص٦

٢- الطريقة التي استخدمت في تنقيف الأجيال وخاصة في استخدام بعض التسميات مثل (الدين المحمدي) أو المحمديون.. لتظل النفوس مقتنعة بذلك الرأي الخاطيء القائل بأن تلك معتقدات انتشرت بفضل جهاد رجل وهناك كمايقول محاولات من هذا أو غيره هي لاسبعاد التنزيل الإسلامي أو الوحي ..

الأنه من ناحية أخرى يرصد تغيراً جذرياً يتحقق اليوم على أعلى مستوى في العالم المسيحي في سبيل تشجيع الحوار الإسلامي المسيحي ومن مظاهر ذلك- كمايقول:^(١)

الوثيقة التي طبعتها سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إثر مجمع الفاتيكان الثاني بعنوان(توجيهات لإقامة حوار بين المسلمين والمسيحيين) والتي طبعت للمرة الثالثة عام ٧٠ م..

وفي هذه الوثيقة- كمايرى تطوراً في هذا الصدد حيث تشهد بعمق التحول في المواقف الرسمية فقد دعت الوثيقة الى استبعاد الصورة التي يُصور المسيحيون المسلمين عليها- ثم اهتمت الوثيقة (بالإعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبتها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين) كمايقول*^(٢).

والوثيقة تؤكد على وحدة الإيمان بالله عند الجماعتين.. وحصلت كما يقول بعض الحوارات بين مسلمين ومسيحيين أهمها استقبال المجلس المسكوني الاعلى للكنائس بجنيف وغبطة الأسقف إشنجر أسقف استراسبورغ كبار علماء المملكة العربية السعودية..

(١). القرآن والتوراة والإنجيل والعلوم/موريس بوكاي/ص٧

(٢). انظر/القرآن والتوراة والإنجيل/موريس بوكاي/ص٧

وضمن هذا التطور ظهر كتيب من قبل- من الفاتيكان لغير المسيحيين عام ٦٧م تعلن فيها سكرتارية الفاتيكان.^(١)

أن الفكره التي كانوا يعلنونها عن الإسلام مشوهه وغير صحيحه وهم أخذوا في تصحيح كثير من المفهومات عنه في الوقت الحاضر.. منها:
١- فينفون عن الإسلام التعصب أو أنه انتشر بالسيف ولايحترم المراه ويبينون الوجه الصحيح في كل هذه الامور.

٢- ويتحدثون بدقه عن معنى الجهاد الإسلامي.

٣- وأن الله الواحد الأحد الذي يعبداه المسلمون هو الله خالق السماوات والأرض الذي يعبداه المسيحيون.. وبناءً على ذلك يطلبون من المسيحيين في جميع الأرض أن يصححوا مفهوماتهم..

عن الإسلام، ويعلنوا تراجعهم عن هذه التشويهات والأخطاء التي كانوا واقعين بها.

ثم ظهر كتاب آخر سنة ١٩٨٠عنوانه (كلنا أبناء ابراهيم) في باريس وأصدرته جمعيتان هناك: الأولى: جمعية التعليم الديني في فرنسا، والأخرى: جمعية العلاقات مع الإسلام:^(٢)

وهو كتاب يقدم للمسيحيين ليعلموا ماهو الإسلام من وجهة النظر المسيحيه وفيه شيء من الإنصاف للإسلام فيقول مثلاًعن القرآن:

١- هو الكتاب الموحى به الذي تلقاه محمد عن الله بواسطة الملك جبريل .

٢- والقرآن يهيب بالإنسان الى التفكير وليس نوراً ينير للإنسان معنى الحياة والموت فحسب ولكنه دليل ايضاً لكل مجالات الحياة الشخصيه والاجتماعيه.

(١). الميزان في مقارنة الأديان / محمد الطهطاوي/ص٣٢٠

(٢). الميزان في مقارنة الأديان / محمد الطهطاوي/٣٢١

٣- واننا نجد في القرآن أسساً يمكن أن نقيم عليها نظاماً متيناً للعدالة الإجتماعيه والإقتصاديه والسياسيه والتشريع والحقوق والعلاقات الدوليه.

٤- ويعترف القرآن بجميع الانبياء السابقين منذ آدم حتى محمد (عليه الصلاة والسلام)..

٥- وعن الإسلام يتكلم عن أركان الإسلام ويصحح كل الأخطاء التي كانت تجري على ألسنة المسيحيين وفي النهايه يتكلم عن تطور علاقه بين المسيحيين والإسلام.. الخ .

وبعد: هو مانراه اليوم في المجتمعات العربيه والإسلاميه التي يتساوى فيها الناس في الحقوق والواجبات - في مختلف الأعمال والميادين، دون النظر الى الألوان والأجناس أو الأديان..

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

١. تفسير القرآن العظيم - ابن كثير/ دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م.
٢. تفسير المنار - محمد رشيد رضا.
٣. النصرانية من التوحيد الى التثليث - محمد أحمد الحاج / ١٩٩٢.
٤. الميزان في مقارنة الأديان - محمد عزت الطهطاوي/ ١٩٩٣.
٥. ينابيع المسيحية - خواجه أفندي / ١٩٩١.
٦. عدو المسيح - نيتشه، ديسري ابراهيم/سيناء للنشر/ ١٩٩٠.
٧. قصص الأنبياء - الثعالبي /المكتبة الثقافية.
٨. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم- د.موريس بوكاي/جمعية الدعوة الإسلامية.
٩. ظاهرة انتشار الإسلام - محمد فتح الله الزيايدي / ١٩٨٣.
- ١٠- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار - محمد البهي/ دار الفكر بيروت/ ١٩٧٣.
- ١١- قصة الحضاره - ول ديورانت /ترجمة محمد بدران /الإداره الثقافيه/ الجامعه العربيه..جزء ١١.
- ١٢-المسيحية - أحمد شلبي /ط. ٨٠/ النهضة المصريه/ ١٩٨٤.
- ١٣- النظم السياسيه - محمد كامل ليله /النهضة العربيه/بيروت / ١٩٦٧.
- ١٤- روح الإسلام - سيد أمير علي/ترجمة عمر الديراني/بيروت/ ١٩٦١م.
- ١٥ - الفكر الديني في مواجهة العصر - د.عفت الشرقاوي/دار العوده بيروت.

- ١٦- في الفكر الغربي المعاصر - د. حسن حنفي / المؤسسه الجامعيه.
١٧- التوحيد وواقعنا المعاصر - د.عدنان النحوي/دار النحوي للنشر/١٩٩٣.
١٨- بعض الدوريات والمجلات..

فهرس الموضوعات

٣	اهداء.....
٥	تقديم.....
٧	مقدمه - الإسلام والمسيحيه والحقيقه الواحده.....

الفصل الأول

١١	حقيقه المسيح في القرآن.....
----	-----------------------------

الفصل الثاني

٥٢	حقيقه المسيح في الأنجيل.....
----	------------------------------

الفصل الثالث

٧٦	الإنحرافات والصراعات الدينيه-أسبابها.....
٨٤	أثر بولس في المسيحيه.....
٨٩	أسباب الصراعات الدينيه.....

الفصل الرابع

٩٤	الحروب الصليبيه وظاهره الإستشراق.....
١٠١	الإستشراق وأهدافه.....
١٠٧	موقف بعض المستشرقين من الإسلام.....
١١١	الإستعمار الصليبي.....

الفصل الخامس

١١٧	اسس الحوار الإسلامي- المسيحي.....
١٢٥	العودة إلى الحقيقه الكبرى.....
١٣٦	التوحيد والمعرفه الإلهيه.....

الفصل السادس

التجربه الإسلاميه.....	١٤٩
الدين عند الله الإسلام.....	١٤٩
التجربه الإسلاميه في أوروبا.....	١٥٦
وشهد شاهد منهم.....	١٦٧
مظاهر الحوار والتواصل الإسلامي المسيحي.....	١٧٥
المصادر والمراجع.....	١٨٠
فهرس الموضوعات.....	١٨٢

ترجمة المؤلف (تكتب على الغلاف من الخلف)

بعد أن أنهى المؤلف الدراسات المنهجية، عكف على حفظ القرآن ومن ثم التأمل والبحث في آياته، بقي كذلك عدة سنوات .
في رحلته تلك اكتشف عظمة الكتاب ،وماتتطوي عليه آياته في كل مناحي الحياة ،فنذر نفسه على خدمته مادام فيه عرق ينبض ،فوضع في مجاله مختلف الدراسات طبع منها:

١- منهج القرآن في الإقتصاد

٢- المرأه في ظل شريعة تالقرآن

٣- مدينة الله في الأرض - قراءه معاصره

أما غير المطبوع منها :

١- الله يتجلى في عصر الطاقه

٢- العقل محاوله لفهم عصري

والآن جاء دور هذا الكتاب - آفاق الحوار الإسلامي المسيحي أرجوأن يكون فيه النفع والخير الكثير.